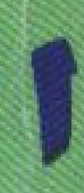
روايات عالمية للجيب

13

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



الأعماق

قصة : بيتر بنشلي
ترجمة : إيناس النجار
إعداد : د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف

إن (بيتر بنشلى) هو المؤلف الذى اختص بالحديث عن البحر ..

صحيح أن كتابا آخرين كتبوا عن عالم البحار الغامض ، لعل أكثرهم شهرة الأمريكى (إرنست هيمنجواى) صاحب (العجوز والبحر) .. وكذلك (هيرمان ملفيل) صاحب (موبى ديك) ..

لكن الكاتبين مرا على البحر مرور الكرام .. فلم تبتل أقدامهما .. ولعلهما ذهبا إلى هناك كى يغوصا فى أعماق أبطال قصتيهما فحسب ..

أما مع (بيتر بنشلى) فالأمر يختلف .. إن هذا الكاتب يتنفس عبق البحر ورائحة حيواناته . إنه يغوص فى أعمق أعماق المحيط خلف الكنوز الغارقة ، ويحارب أسماك القرش وقناديل البحر ، ثم يصعد ليواجه أعتى القراصنة .. كل هذا فى إطار أدبى محترف محكم .

ولد (بيتر بنشلى) عام ١٩٤٠ فى عائلة من الكتاب ، اشتهر منها أبوه (ناثان) وجده الأديب

الأمريكى العبقرى (روبرت بنشلى) .. ولقد تخرج الفتى فى (هارفارد) وعمل بالصحافة حينا من الوقت إلى جانب عشقه الدائم للبحر .. وفى عام ١٩٧٤ خرج إلى العالم برائعته الأولى :

- فكان (اشتهرت باسم الفك المفترس) : وهو الكتاب الذى قدمناه لك فى هذه السلسلة ، والذى اهتز العالم لقراءته ثم مشاهدة الفيلم السينمائى الرهيب الذى أخرجه (ستيفن سبايلبرج) عنه .

بعدها قدم روائعه التالية :

- الأعماق : وهى القصة التى بين يديك الآن . ولن نحاول أن نستبق السرد هنا لكنها تدور فى عوالم الكنوز الغارقة . قدم المؤلف - كعادته - بطلا من وحوش البحار هو سمكة (أبو مرينا) .. ثعبان البحر المفترس المختبئ بين صخور الأعماق بانتظار الغواصين ذوى الحظ العاثر ..

تم إخراج فيلم سينمائى عن هذه القصة بطولة (روبرت شو) و (نك نولت) و (جاكلين بيسيه) .

- الفتاة من بحر (كورتيز) : عن فتاة تعقد صداقة مع مخلوقات البحر .. والوحش الجديد الذى يقدمه هذه المرة هو (حدأة البحر) العملاقة .. والتى تدافع عن

الفتاة وعن عالمها بمجرد أن تشعر أن الخطر يتهددهما ..

وفى هذه القصة المثيرة نلمس بوضوح إلمام (بنشلى) بجيولوجية البحار ..

- الجزيرة : فى هذه المرة يأخذنا الكاتب إلى عالم مروع ما زال قراصنة (الكاريبى) يعيشون فيه ممارسين طقوس حياتهم الرهيبة .. ويقع الصحفى - الذى أرسل ليرى ما يحدث هناك - فى قبضتهم مع ابنه ..

والقصة تعكس إلمام المؤلف بجزر (الكاريبى) ودراسته لجنس القراصنة المنقرض المعروف باسم (بوكانير) .. قدمت السينما العالمية هذا الفيلم عام ١٩٨٠ من إخراج (مايكل ريتشى) وبطولة (مايكل كين) ..

إن (بيتر بنشلى) يقدم لنا نوعا فريدًا من الأدب .. أدب البحر .. ولأنه يكتبه باقتدار وحرفية عالية قادرة على حبس أنفاسنا مع كل سطر ؛ فإن هذا الكتاب لجدير بأن يُقرأ .

د . أحمد خالد

- ١ -

العام ١٩٤٣

بدأت الريح تهدأ فى العاشرة صباحا ..

لاحظ القبطان ذلك إذ رقد فى قمرته يتسلى بتقليب صفحات مجلة أحضرها أحد الملاحين من (نورفولك) ..

نهض .. وتمطى واتجه إلى الباب ..

وعلى السطح كانت السماء صافية .. رائحة النسيم .. وثمة سحابة صفراء تلوح فى الأفق ..

دنا من مساعده الشاب الأسكتلندى الملتحى وسأله :

- هل أصلحت الصارى ؟

- نعم .. والأشرعة كذلك .. هل ستكون الرياح شديدة ؟

- كيف لى أن أعرف دون لاسلكى ؟.. لو أن هذه الحرب طالت لنسينا جهاز اللاسلكى تماما .. لكن ظنى أنها ستكون شديدة ..

نظر مساعد الربان إلى ساعته وتساءل :

- هل أمامنا مسافة طويلة ؟

- خمسون أو ستون ميلا بعدها نصل إلى المضايق فنقرر : هل نرسو فى (سانت جورج) أم نتجه إلى (هاملتون) ؟

- لا مشاكل إذن .. سنصل بسلام ..

- بهذه المركب ؟ - قالها القبطان وبصق - إنها قطعة خردة .. لاشىء فيها سوى اسمها المماثل لاسم (جوليات) السابقة ..

وفى الساعة الواحدة ظهرا ..

تغطت السماء بغلالة رمادية كئيبة من السحب ، وتلاعب الزبد على صفحة الماء تعابثه الأمواج ..

ثم إن المطر انهال مدرارا ومن الجنوب جاءت كتلة من السحب السوداء ..

وعلى ظهر السفينة - مرتديا معطفا واقيا - وقف القبطان جوار مساعده .. وجاء أحد البحارة المسئولين عن مخزن المؤن ..

سأله القبطان :

- كيف حالهم ؟

- بخير .. لكنى أتساءل .. لماذا وضعوهم فى صناديق سيجار ماداموا باهظى الثمن إلى هذا الحد ؟

- هل تهشم شىء منهم ؟

- إنهم محاطون بأجولة الدقيق ..

المطر يزداد قسوة .. الريح تعوى وتزداد حدة هطول الماء .. السفينة تهتز ..

- ربما كان علينا تحويل الطريق ؟

- لا أحد يستطيع الابتعاد عن (برمودا) فى هذا الطقس .. إن الصخور تبرز إلى حد مخيف ..

لمدة ساعة ظلت السفينة (جوليات) تصارع الأمواج ..

هيكلها يحدث أصواتا منذرة بالتفكك ..

وفى الثالثة هدأت الريح قليلا . وصفت السماء الرمادية نوعا .. وغير القبطان الاتجاه إلى الجنوب محاولا الوصول إلى القناة الآمنة الوحيدة إلى أرخبيل (برمودا) ..

غير أن الريح انفجرت ثانية من الشمال هذه المرة ..

اندفعت الأمواج كالجبال السوداء تعصف بالصوارى ..

فهوى صار وتمزق شراعه إلى ندف بيضاء ..

وإلى السماء ارتفعت مقدمة السفينة ..

صاح القبطان فى مساعديه قائلا شيئا ما لم يتبينوه ..

ومن بعيد لمحوا فنارا غير مضاء .. مجرد خط رفيع أمام سماء مظلمة ..

هوى القبطان على ركبتيه .. تشبث - مذعورا - بالدفة .. لكنها شرعت تدور وحدها فى جنون ..

وسمع صرخة مساعده .. ورأى جسده يطير وسط المياه إلى ظلام البحر المزبد ..

قبض القبطان على العجلة فى توتر ..

مازال شراع المؤخرة موجودا .. ولئن استطاع أن يصل إلى الفنار فلربما احتمى بميناء (سانت جورج) ..

مقدمة السفينة ترتفع ثانية ..

الرذاذ ينغرس فى وجهه وعينيه كأشواك حادة ..

اقترب من الفنار ببطء حين رأى البحار المسئول عن المخزن آتيا إليه وهو يترنح محاولا الإمساك بأى شىء ..

وسمع صوته يقول كلاما لم يتبين منه سوى (ديفيد) ..

وأخيرا تبين ما يقول :

ـ ليست هذه أضواء (سانت ديفيد) !

ـ بل هى ..

ـ بتاتا .. إنها أضواء (جييس هيل) !

وهنا أدرك القبطان خطأه ..

لقد أعماه المطر فجعله يحيد اثنى عشر ميلا إلى الجنوب الغربى .. وقبل أن يفهم ما يحدث سمع صوت تهشم الخشب فوق الشعاب المرجانية ..

ارتفعت مقدمة السفينة إلى أعلى ..

مد القبطان يده ليمسك بالدفة . لكن ذراعه انحشرت

فى العجلة .. تهشمَ معصمه .. وفى اللحظة التالية طار إلى ظلام البحر الرهيب ..

* * *

وفى الصباح .. كانت العاصفة قد نفثت غضبها ..

كان هناك ضابط من السلاح البريطانى يمشى على الشاطئ مع كلبه ، يتأمل الأخشاب المبتلة التى قذفتها الأمواج فوق الرمال ..

وأخذ كلبه يلهو هنا وهناك ثم يعود إلى جواره ..

وفجأة تشمم الكلب شيئا ما بين الرمال فتصلب .. شرع ينبح .. وكان ما أثار توتره كتلة من القماش مخلوطة بالرمال .. وتحت هذه الكتلة رقد رجل لا يستر عريه سوى سروال ممزق ..

انحنى الضابط ولمسه .. فسعل الرجل وأنَّ معلنا أنه لم يمُت بعد ..

وكان اسم هذا الرجل هو (آدم كوفين) ..

* * *

- ٢ -

فى الأعماق يستحيل لون الدماء إلى الأخضر ..

والسبب فى هذه الظاهرة البصرية هو أن الماء يحتجز لنفسه ألوان الطيف بادئا باللون الأحمر ..

وعند عمق مائة قدم يختفى الأخضر ليحل محله الأزرق .. أما عند مائتى قدم فإن الدماء تغدو سوداء ..

* * *

تربع (ديفيد ساندرز) على القاع الرملى .. ومدّ يده محاولا إمساك السمكة الجريحة من ذيلها ..

كانت الدماء الخضراء تتسرب من جرح كبير فى ظهرها ، لربما أحدثته سمكة أكبر منها وأشرس ..

كانت السمكة غضبى .. ولربما كانت حماقة منه أن يحاول .. لكنه فعل وكان نصيبه عضة شرسة فى كفه ..

وسرعان ما رأى السائل الأخضر يتسرب من يده ..

لا داعى للتوتر .. إن القارب فوق رأسه مباشرة .. فليصعد الآن ولا يحاول أن يمسك بأنفاسه ..

وعلى السطح كانت (جيل) زوجته تنتظر ، حين رأت فقاعات الهواء ، فأدركت أنه قد صعد ..

ساعدته على التسلق ، وفك خزان الهواء .. ثم سألته

عما إذا كان قد رأى شيئا فأجاب بالنفى .. سألته وقد رأت الدم يسيل من كفه :

- وماذا حدث ليدك ؟

- لا شىء .. مجرد جرح صغير ..

ثم ركل زعنفتى القدمين .. ونظر إلى بعيد .. إلى حيث الفنار ونادى (أورانج جروف) وقال :

- هذا هو الموضع كما حدده حارس الشاطئ .. لابد أننا فوق المكان بالضبط ..

- لا تنس أن ذلك الحطام مرّ عليه ثلاثون عاما ..

- لكن الرجل أكد وجود أجزاء من الهيكل ..

ثم نظر إلى حيث يتكسر الموج على ثلاثة صفوف من الصخور ..

وأردف :

- لقد أكد لى أنها وراء مجموعة الصخور الأولى .. لكن ربما كان علينا أن ندخل نحو الثانية .

وببطء شرع (ساندرز) يوجه القارب نحو الخط الثانى للصخور ..

ثم رمى الهلب وثبت خزان الهواء على ظهره .

تساءلت (جيل) فى قلق :

- هل تغطس ثانية ؟

- لم لا ؟.. سأضمد جرح يدى بعناية حتى لا ينزف فى الماء ..

قامت (جيل) بإعداد ثيابها هى الأخرى ، وثبتت المنظم على الصمام أعلى خزان الهواء ، ثم أدارت المفتاح .. وغمرت الزعنفتين فى الماء قبل أن ترتديهما .. شطفت قناعها وبصقت على الزجاج من الداخل ومسحته باللعاب حتى لا يحجب بخار الماء الرؤية ..

ثم ارتدت خزان الهواء الذى يسمح لها بالتنفس نحو ساعة .. وجلست على حافة الزورق وظهرها للماء واستنشقت نفسًا عميقًا من خرطوم الماء ..

أشار لها كى تغطس أولا ، فانقلبت بظهرها للوراء .. وسط حشد من الفقاقيع تلاشت ، وتبعها (ساندرز) ..

ما أروع القاع !..

الماء شفاف رائق وأشعة الضوء تتخلله إلى حيث الرمال والمرجان .. رأى (جيل) عند القاع تحفر الرمال بأصابعها بينما تنتظر جوارها سمكة صغيرة بانتظار أية قشرية دقيقة قد تخرج من تحت الرمال أثناء الحفر .

لا شىء تسمعه سوى صوت الشهيق وصوت فقاعات

الزفير .. وفيما عدا القلق الممزوج بالإثارة حين تقف وحيدا أمام هذا السهل الممتد من الرمال بينما ملايين المخلوقات ترقبك ولا تراها .. أنت مقيد بأطنان من الماء تضغط على كل سنتيمتر من جسدك وتشعر بأصفادها ..

تلفت حوله بحثًا عن أى أثر لتلك السفينة .. لا شىء .. سبحا معا إلى اليسار ووراءهما حشد من الأسماك الصغيرة التى تأمل - بشكل ما - أن تجد ما تأكله .. فجأة أحس أن (جيل) تجذب كاحله ..

كانت تشير إلى اليسار ..

إلى ثعبان (براكودا) ضخم معلق فى الماء بلا حراك ، يرمقها بعينين سوداوين ثابتتين .. كان جسده رفيعا ناعما يلتمع كنصل سكين .. بينما فمه فاغر عن أسنان مدببة حادة ..

ودون كلمة مدّ (ساندرز) يده وانتزع الخاتم الماسى اللامع الذى ترتديه (جيل) ودسه فى ثيابه ..

ضربت (جيل) بيدها إلى صدرها وأشارت لأعلى .. فهز رأسه أن لا .. لكنها أصرت .. يمكنه هو أن يبقى إذا أراد أما هى فصاعدة .. وركلت الأرض بقدميها وارتفعت لأعلى ..



ودون كلمة مدّ (ساندرز) يده وانتزع الخاتم الماسى اللامع الذى ترتديه (جيل) ودسه فى ثيابه ..

وتبعها هو ..

ـ بعد أن صعدا إلى القارب سألها :

ـ هل تخليت عن الأمر ؟

ـ كلا .. شعرت بالخوف من (البراكودا) فحسب ..

ـ كان عليك أن تتركى خاتمك .. إن لمعة الماس تجذب المشاكل تحت الماء .. حين بدأت تعلم الغوص كنت أرتدى رداء للعوم به قفل نحاسى لامع .. وطلب منى معلم الغوص أن أنتزعه ، لكنى رفضت .. فأحضر الرجل سكينا وربط طرفها إلى عصا بحيث يكون سلاحها لأعلى .. وغرس العصا فى الرمال ، وشرعت السكين تتلألأ فى ضوء الشمس .. فما هى إلا دقائق حتى جاءت (براكودا) كبيرة وهاجمت السكين فى جنون .. أدمتها السكين لكنها واصلت الهجوم .. وتخيلت كأن الوحش يهاجم قفلى النحاسى .. ومن يومها لم أرتد هذا الرداء ثانية ..

ثم أردف فى حزم :

ـ ثمة نقطة هامة .. يجب ـ تحت الماء ـ أن نفعل كل شىء معا وأن يعرف كل منا مكان الثانى .. لو كان ثعبان (البراكودا) هذا قرشا واندفعت أنت بهذه الحماقة إلى السطح لهاجمك دون تردد ..

الحل الأمثل هو الانتظار فى القاع والاحتماء بالصخور.

هل فهمت .؟ لا تقومى بشىء مفاجئ دون إخبارى به ..

وفجأة نظر خلف كتفها إلى بقعة بنية ما بين الأمواج عند مؤخرة القارب .. مدّ يده إلى معصمها يجذب انتباهها ..

كانت هناك كتلة خشبية ما .. دعامات خشبية معطنة ملقاة هنا وهناك فوق رمال القاع البيضاء ..

ابتسم لـ (جيل) وابتسمت له .. لقد وجداها !..

ودون مناقشة .. وثبا إلى الماء ما بين الصخور ..

وجدت (جيل) علبة من الصفيح مهشمة صدئة .. بينما وجد (ساندرز) زجاجة مياه غازية سالمة تماما ..

رقدت (جيل) على القاع وشرعت تنبش تحت الخشب ، فوجدت شوكة طعام وجزءًا من طبق مكسور ..

وعبرا إلى الجانب الآخر من الصخرة حيث باقى الهيك ..

وهناك وجدا عشرات من قطع الخشب والحديد الصدئ والمعادن المغطاة بالشعاب المرجانية ..

أشارت له (جيل) إلى تجويف فى الصخر شبيه بكهف صغير ..

كانت تتساءل لكنه قال لها - بالإشارة — أن لا .. من أدراه أن شيئا ما لا يعيش فى هذا الكهف ؟!.. شيئا يقبض على يده إذا ما أدخلها هناك ..

لقد تذكر صورة رآها منذ أعوام ليد رجل عضها ثعبان (موراى) ..

كان اللحم ممزقا وقد تبدت العظام بيضاء كئيبة ..

لكن الفضول هو الفضول ..

مدّ عنقه يحاول أن يختلس نظرة إلى داخل الكهف ، لكنه كان مظلما حالك الظلمة .. ثمة شىء يلتمع بالداخل لا يدرى كنهه ..

النبض يدق فى جانبى رأسه .. أى أنه يتنفس أسرع مما يجب ..

استجمع شجاعته أخيرا ومدّ يده داخل الحفرة فالتقط شيئا دقيقا من هناك .. ثم أخرجها سريعًا ..

كان هذا الشىء أنبوبا رفيعا من زجاج يحوى سائلا أصفر شفافا ..

نحو (جيل) سبح وأشار لها إلى عنقه (أى أن التنفس غدا عسيرا) ..

فهزت رأسها موافقة .. ومن ثم صعدا إلى السطح معا ..

كانت الحصيلة لا بأس بها .. ملاعق .. أشواك .. إناء زبد .. مسدس صدئ .. وصندوقا معدنيا أحاطه الماء بطبقة سوداء سميكة مما يستدعى تهشيم هذه الطبقة لفتح الصندوق ..

أما عن أنبوب الزجاج فقد أدركا أنه أمبول يحوى عقارا ما ..

- غدا نحضر معنا حقيبة ، فأنا أعتقد أن هناك أشياء كثيرة مازالت موجودة فى هذا الحطام .

* * *

وحين وصلا إلى الشاطئ كان الحارس ينتظر ..

- أرى أنكما وجدتما الحطام وبعض الأشياء ..

- نعم ..

كان (ساندرز) يمقت هذا الحارس الذى استأجرا منه القارب ، فهو شاب مختال بنفسه يقارب (جيل) فى عمرها - السادسة والعشرين - ويخصها باهتمام مريب .. حتى أسئلة (ساندرز) له كان يجيب بها (جيل) ..

سألهما الحارس :

- هل وجدتما قذائف ؟

- قذائف ؟

- نعم .. يقال إن (جوليات) كانت تحمل قذائف

أعماق .. ربما كان هذا من قبيل الإشاعات ..

- على كل سنستأجر القارب ثانية غدا لنواصل البحث ..

وسارت (جيل) و (دافيد) فوق الرمال الوردية الناعمة المختلطة بأصداف البحر .. حتى وصلا إلى قاعدة التل الحجرى ..

كان هناك مصعد عبارة عن قفص حديدى يصعد على دعامة من الصلب مرت عليها عشرات السنين ، وكان هناك سلم ضيق متعرج يقود إلى القمة بجوار هذا المصعد ..

لم يكن المصعد مزودا بجرس إنذار فإذا - لا قدر الله - وجدت نفسك حبيسا بداخله فعليك أن تظل مكانك حتى يراك أحدهم أو تقوم الساعة !

وبالنسبة لـ (جيل) لم تكن هناك مشكلة .. هى لن تستعمل هذا القفص الحديدى تحت أية ظروف ..

ستصعد السلالم .. أما بالنسبة لـ (ساندرز) المنهك فهو لا يخشى المرتفعات أكثر من خوفه من الطائرات . وكلا الخوفين لن يفسدا حياته !..

لهذا استقل المصعد مع حاجياته .. وشرع القفص الحديدى يعلو ببطء .. ببطء وهو يئن ..

. ولم ينتبه (ساندرز) إلى الصوت الذى بدأ يتبدل من الأنين إلى الشكوى الصريحة ..

ثم توقف المحرك نهائيا !..

ضغط على زر النزول فسمع صوت دقة .. ولم يتحرك المصعد ..

ضغط على زر الصعود فسمع دقة أخرى وظل المصعد ثابتا .

نظر إلى أعلى ليرى قمة التل على بعد خمسة عشر قدما ..

وكانت (جيل) فى ذات الوقت قد وصلت لقمة السلم ..

نظرت إلى موضع المصعد فلم تجده قد وصل بعد ..

بلل العرق جبينها وانحنت فوق السور تنظر لأسفل التل فلم تستجمع أنفاسها إلا حين رأت القفص معلقا هناك .. على الأقل هو لم يهو من عل كما خطر لها ..

نظرت لأعلى لترى صندوقا معدنيا يحوى ـ فيما يبدو ـ محرك المصعد ..

هرعت حافية القدمين وبثوب الاستحمام إلى بهو نادى (أورانج جروف) الارستقراطى الذى يحرم دخول أشخاص بثوب الاستحمام ..

وصاحت فى موظف الاستقبال أن يفعل شيئا .. لقد تعطل المصعد بزوجها داخله ..

لم يخف الموظف استياءه من ثيابها .. رفع سماعة الهاتف وطلب رقما ما .. فصاحت (جيل) فى جنون :

ـ ألن تفعل شيئا ؟

ـ بلى .. أنا أفعل ذلك الآن يا سيدتى !.. هالو .. (كلارنس) .. لقد تعطل مرة أخرى .. ووضع السماعة ..

فهرعت (جيل) إلى الخارج لترى ما يحدث ..

وكانت المفاجأة أن وجدت زوجها يقف سليما معافى عند قمة التل ..

ـ كـ .. كيف أصلحته ؟

ـ لم أصلحه يا ملاكى .. لقد تسلقت العامود !

كادت تنفجر فيه غاضبة على الجنون الذى جعله يفكر فى .. حين رأيا عجوزا زنجيا يدنو من المصعد حاملا أدوات إصلاح ويكلم نفسه ..

سأله (ساندرز) عما حدث ؟

فقال الرجل بلا مبالاة :

ـ لا شىء .. إنه يتوقف حين يرغب فى ذلك !

وعبث ببعض الأزرار بالصندوق فارتفع المصعد ببطء لأعلى .

- ربما كان ساخنا أو باردا أكثر من اللازم .. إنه يتوقف فحسب ..

وأخرج متاع (ساندرز) من الداخل وهو يغمغم :

- يتوقف فحسب ..

* * *

- ٣ -

جلسا فى بهو النادى الكبير يتأملان الشمس الغاربة تضىء الأفق بلون وردى ..

جاء النادل الأسمر ليعرف طلباتهما فى أدب ..

ولاحظت (جيل) البطاقة الموضوعة على صدره فسألت (ساندرز) هامسة :

- اسمه (سليك) .. أهو اسم (برمودى) ؟

- لا توجد أسماء برمودية خاصة .. هناك الزنوج الذين يتكلمون بلهجة المستعمرات البريطانية .. والبيض الذين تشابه لهجتهم لهجة رعاع (جامايكا) ..

وجاءت المشروبات فطفقا يرشفان فى صمت مصغين لهمس الأمواج ويتأملان الصخور .. ثم أن (ساندرز) دسّ يده فى جيبه وأخرج الأمبول :

- غدًا صباحًا نجد من يحلل هذا السائل لنا .. أراهن على أنه (بنسللين) أو شىء مماثل مما تحمله السفن .

- لا أظن أن الـ (بنسللين) كان منتشرا هكذا إبان الحرب .

وهنا سمعا صوتا يسأل :

- من أين حصلتما على هذه ؟

كان هذا هو النادل الذى أحضر لهما قائمة الطعام .. ثم بدا عليه الحرج من تدخله المفاجئ على هذا النحو ..

قال (ساندرز) فى بساطة :

ـ من الحطام هناك فى البحر ..

ـ من (جوليات) ؟

ـ نعم .. هل تعرف محتواها ؟

تناول (سليك) الأمبول ورفعه أمام الضوء .. ثم أعاده إلى (جيل) قائلا :

ـ ليست لدى أدنى فكرة ..

ـ إذن لماذا تهتم بها ؟

ـ الزجاج .. إنه يبدو عتيقا وجميلا .. معذرة .

ووضع لهما القائمة على المائدة .. وانصرف ..

* * *

ـ هيا نجلس فى الشرفة بعض الوقت .

كان القمر يسكب ضوءه الفضى على الزهور وأوراق الشجر بينما الضفادع تتبادل السباب ..

كان هذا هو كوخهما .. رائحة الهواء العطرة وحفيف الأنسام ..

على حين جلسا على مقعدين من القش يتناجيان ..

قال (ساندرز) وهو يرشف كوبه ..

ـ هل أخبرك بمعلومة مثيرة من مجلات (الجغرافيا الوطنية) التى كنت أعمل فيها ؟

ـ هم م م ؟

ـ فى القرن السابع عشر كانوا يسمون هذا المكان (جزيرة الشياطين) .

ـ ولمه ؟

ـ كيف لى أن أعرف ؟

سمعها تتثاءب بصوت عال طويل .. وفجأة تصلبت ونظرت لبعيد ..

ـ ماذا حدث ؟.. هل ابتلعت لسانك ؟

ـ ثمة شخص ما هناك !

ـ لا أحد ..

ـ لا .. أنظر هناك نهاية الممر ..

بالفعل كان هناك رجل خارجا من بين الشجيرات قادما نحوهما .. كان أسود يرتدى حلة سوداء .. وسمعاه يقول :

ـ اسمحا لى !..

تساءل (ساندرز) فى ضيق :

ـ منذ متى وأنت هنا ؟

قال الرجل بلهجة بريطانية :



بالفعل كان هناك رجل خارجا من بين الشجيرات قادما نحوهما ..

ـ لقد وصلت لتوى .. هل يمكننى الحديث معكما ؟

كان زنجيا فى الخمسين من عمره .. امتلأ جلده الأسمر بالتجاعيد وشعره بالشيب :

ـ اسمى (باسيل تابر) أدير محلا للمجوهرات .. إن هوايتى هى الزجاج القديم ، ولقد سمعت أنكما وجدتما قطعة زجاج نادرة فى حطام (جوليات) ويسرنى أن أراها .. كان هناك رجل يدعى (راينهارت) يعمل فى الزجاج فى (نورفولك) وكانت أعماله قليلة نسبيا .. لكن ـ فى محيط عملنا ـ من المدهش أن تمتلك قطعة من زجاج (راينهارت) ..

نظرت (جيل) نظرة ذات معنى إلى (ساندرز) الذى بادلها النظر وقالت :

ـ إن عشاق الزجاج أكثر من اللازم فى (برمودا) ..

سأله (ساندرز) وهو يمسك الأمبول :

ـ ولكن .. ماذا يحتويه هذا الأمبول من الداخل ؟

ـ لا أعرف .. قد يكون أى شىء .. إن الزجاج هو ما يثير شغفى ..

ثم نظر إلى الأمبول بشغف .. وقال :

ـ سأدفع لكما عشرين دولارا ثمنا لها ..

تأمل (ساندرز) الأمبول هنيهة ثم قال :

- هل تمانع أن نسحب السائل منها أولا .. فإن أمره يهمنا ..

قال الرجل فى عصبية :

- لا .. مستحيل" .. لسحب السائل تحتاج إلى كسر طرف الأمبول ، وهذا يتركها معدومة القيمة .

- إذن لن نبيعها ..

- خمسون دولارا !

ثم توتر الرجل للمرة الأولى وأردف :

- لن تجدا من يشتريها بهذا الثمن !

- فى هذه الحالة نحتفظ بها .. ألم تقل أنت أن زجاج (راينهارت) شىء له قيمته ؟!

نظر لهما الرجل فى غيظ هنيهة ، ثم أدار ظهره وابتعد غائبًا بين الأشجار ..

سأل (ساندرز) زوجته :

- ما رأيك فى كل هذا ؟

- دعنا ندخل أولا .. فالله وحده يعلم من يوجد سواه بين هذه الشجيرات المظلمة ..

وفى داخل الكوخ - بعد أن أغلقا الباب بالمفتاح - كرر سؤاله .. فقالت (جيل) أنها لم تسمع عن زجاج (راينهارت) هذا .. و ...

- إنه - و (سليك) - لا يهتمان بالزجاج بتاتا .. بل يريدان ما بداخله !

- ولماذا لا يفصح عن ذلك ببساطة ؟

- كان بحاجة إلى أكذوبة .. ومن الصعب أن يزعم لنا أنه يجمع السوائل من الأمبولات الموجودة بالسفن الغرقى !

قال (ساندرز) فى قلق :

- غدا نبحث عن شخص يعرف ما كانت تلك السفينة (جوليات) تحمله حين غرقت !

- ٤ -

لم ينج من (جوليات) سوى مخبول واحد لن تظفرا منه بشىء .. غير أن هناك رجلا يدعى (رومر تريس) .. يعرف كل شىء عن السفن التى غرقت قرب (برمودا) .. هو خير من يعرف هذه المياه ..

- وما هو رقم هاتفه ؟

- لا هاتف .. إنه مقيم فى (سانت ديفيد) فاذهبا إليه ..

ثم إن موظف الفندق نظر إلى (ساندرز) فى قلق :

- هل تعرف (سانت ديفيد) ؟

- من الخريطة .. نعم ..

- إن سكانها لا يرحبون بالزوار .. ولا يعتبرون أنفسهم مواطنين لـ (برمودا) .. ثمة جسر يربط الجزيرة بباقى (برمودا) .. لكنهم يفضلون لو أنه لم يوجد قط ..

- لماذا ؟

- هم أناس خليط من المرارة والاعتزاز بالنفس .. لديهم قوانين خاصة بهم لا تدرى سلطات (برمودا) شيئا عنها .. يقال أن هذا هو ثمن العبودية !

- لا أفهم ..

- كان أجداد هؤلاء السكان من العبيد .. نصفهم من هنود (الماهيكان) المشاغبين الذين طردهم الأمريكان .. والنصف الآخر من حثالة الأيرلنديين الذين طردهم الإنجليز .. لهذا جاء الناتج جنسا قويًا عاتيا لا مثيل له ..

قالت (جيل) بانبهار :

- هذا يبدو مثيرًا !

- فى ضوء النهار نعم !

قال (ساندرز) وهو يحاول تغيير مجرى الكلام :

- شكرًا لك .. نحن بحاجة إلى ملء خزانات الهواء الخاصة بنا ..

- أعتذر لك عن جهلى يا مستر (ساندرز) .. لقد لمحت بطاقة اشتراكك وبها كلمة (نيدا) .. ما معناها ؟

بهدوء قال (ساندرز) :

- هى الحروف الأولى من عبارة (الرابطة القومية للغواصين المستقلين) .. وهى جماعة جديدة ..

- أكرر أسفى يا سيدى .. ولأقومن بتلبية طلبك ..

* * *

عرجا على حانوت تأجير الدراجات فى نادى (أورانج جروف) فاستأجرا دراجتين بخاريتين ..

تساءلت (جيل) هامسةً وهى تفحص دراجتها :
ـ ما موضوع الـ (نيدا) هذه ؟
ـ لم أسمع عنها قط .. أنت تعرفين أنهم يتشددون .. من الصعب الحصول على هواء للخزانات مالم تكن عندك شهادة بالغطس .. وقد قمت بـ (فبركة) هذه البطاقات فى (نيويورك) .. إنهم لا يتقصون الأمر أبدا ويكتفون بتسديد خانات فى دفاترهم ..

والآن يركبان دراجتيهما لابسين خوذتيهما كما تحتم القوانين ، قاصدين الشمال الشرقى ..

هواء البحر المخلوط بالرذاذ يداعب وجهيهما مخلوطا بالزهر والتوابل ..

وهاهماذان قد وصلا إلى كوبرى (سيفرن) .. وسارا فى الطريق الضيق قاصدين (سانت ديفيد) ..

كان المكان عبارة عن مجموعة من أكواخ حجرية مبعثرة فوق جوانب المرتفعات بلا نظام .. فكأن شخصا أمسك بحقيبة ملأى بالأكواخ وأفرغها دون خطة معينة على التراب ..

وكان هناك كوخ كتب عليه (مطعم كيفن) وعلى بابه ستار من الخرز الملون .. فدخلاه ..
ـ هل ثمة أحد هنا ؟!

صاح (ساندرز) .. فبرز له رجل أسمر سمين عارى الجذع ..
ـ ماذا تريد ؟
ـ نبحث عن المدعو (رومر تريس) ..
ـ ليس هنا ..
ـ أين نجده ؟
ـ إنه ليس من المعالم السياحية للجزيرة ..
ـ ونحن لسنا سائحين .. نريد سؤاله عن سفينة ما ..
ـ إنه يفهم فى السفن .. وما مدى احتياجك لرؤيته ؟
فهم (ساندرز) الرسالة بعد ثانية تردد ..
مدّ يده لجيبه وأخرج خمسة دولارات وضعها على المنضدة ..
ـ يبدو أنك لا تريد رؤيته إلى حدّ كبير !
تبادل مع (جيل) نظرة ذات معنى ، ثم أخرج خمسة دولارات أخرى وضعها على المنضدة وقال :
ـ هل هذا كاف لإظهار شوقى إلى رؤيته ؟!
قال (كيفن) وقد قبل العرض :
ـ أعلى التل عند الفنار ..

* * *

كان باب المنزل مفتوحا ، لكن كان هناك باب داخلى مغلقا وراءه ..

دق (ساندرز) بيده وصاح مناديًا :
(تريس) ..
فسمع صوتًا يقول :
- هناك كتيبات فى الفنار بها كل المعلومات ..
دوى الصوت العميق من مكان ما بلهجة تشبه لهجة الإنجليز والأسكتلنديين لكنها تختلف عنهما معًا ..
قال (ساندرز) :
- نحن نبغى سؤالك عن أشياء وجدناها يا مستر (تريسى) ..
وحين استدار نحو الباب ، رأى أمامه أضخم رجل رآه فى حياته .. طوله يناهز سبعة أقدام .. صدره العريض يوشك أن يمزق أزرار قميصه .. وجهه قوى القسمات بارز الوجنتين حاد الذقن .. عيناه زرقاوان كالبحر ذاته ..
وكان شعر رأسه حليقًا بطريقة البحارة على شكل رقم (٧) وسط الجبهة ..
- أية سفينة ؟
- (جوليات) ..
- لا يوجد بها شىء ذو قيمة ..
أمسكت (جيل) بلفافة قماشية كانت تحملها ..

وفتحتها على الأرض لتريه ما بها .. الملاعق .. الأشواك .. إلخ ..
- هى فعلا من مخلفات (جوليات) .. لاشك فى هذا لكنها بلا قيمة ..
قال (ساندرز) وهو يناوله الأمبول :
- وجدنا هذا أيضًا ..
تأملها (تريس) للحظة .. ثم تحركت عضلات فكيه .. ورأياه ينظر إلى البحر .. وسمعاه يغمغم :
- يا إله السموات ! .. بعد اثنين وثلاثين عامًا !
ثم أنه نظر إلى (ساندرز) :
- من غيرى رأى هذه ؟
- أمس حاول رجل أسود شراءها منا .. قال إنه شغوف بهذا الطراز من الزجاج ..
- زجاج ؟! وضحك ضحكة ازدراء .. ووضع الأمبول تحت أنف (ساندرز) ـ هل تعرف ما هذا ؟.. إنه (مورفين) .. (مورفين) نقى .. ما يثبت أن أسطورة (جوليات) حق ..
- أية أسطورة ؟
نظر لهما برهة كأنما يتساءل هل يخبرهما أم لا ؟..
ثم دعاهما إلى المطبخ .

كان مكانا رحبا يطل على البحر ، وقد امتلأ بقوارير المواد الكيماوية والمدى والمطارق .. وأشار لهما أن يجلسا ..

وهنا دخل المكان كلب عملاق مجعد الفراء شرع يزوم وينبح حين رأى الضيفين ..

- صمتا يا (شارلوت) أيتها الكلبة الحمقاء !

لكن الكلبة ظلت تنظر نحو (ساندرز) وتنبح .. من ثم تناول (تريس) قدحا من الماء قذفه فى وجه الكلبة ..

- قلت لك أن تهدئى !.. كذا !.. قلت لك إنهما ليسا سائحين .. على الأقل لم يعودا كذلك !

ثم إنه - وقد هدأت الكلبة - أراح ظهره إلى الوراء :

- والآن .. ماذا تعرفان عن (جوليات) ؟

- لا شىء فى الواقع ..

- حسن .. اعلما إذن أن (جوليات) كانت سفينة شحن تحمل إمدادات إلى (أوروبا) فى الحرب الأخيرة .. كانت خشبية مزودة بالأشرع ، وهذا لجعلها تتفادى الألغام الممغنطة ، وحتى لا يصدر عن محركاتها صوت .. وفى خريف ١٩٤٣ تبعثرت (جوليات) فوق الصخور .. ومن يومها يجد الناس أشياء عديدة فى

حطامها .. أنا دخلتها فى الخمسينات وأخرجت منها طنا من قذائف الأعماق النحاسية .. لكن أحدا لم يجد ما بها من معدات طبية ..

ثم عقد ذراعيه خلف رأسه وأردف :

- لقد نجا واحد فقط .. واحد كان محطما أكثر من السفينة ذاتها .. ولقد أمضى سنوات عدة يبيع أسرار الحطام مقابل كأس من الشراب .. وفى ذات ليلة كان ثملا .. ثملا إلى الحد الذى جعله يعترف أن (جوليات) كانت تحمل آلافا وآلافا من أمبولات (المورفين) .. وفى اليوم التالى أمسك به البعض وضربه ضربا مبرحا كى يتكلم أكثر .. لكنه أقسم أنه لا يعرف أى شىء عن هذه المخدرات .. ، وكذا قالت الأسطورة أن حطام (جوليات) يحوى (مورفينا) بعشرة ملايين دولار .. لكن أحدا لم يجد أى شىء .. أنتم أول من وجد الدليل ..

سأله (ساندرز) :

- ولماذا الآن بالذات ؟

- هيه !.. إن قاع المحيط شبيه بامرأة متقلبة هوائية تتغير طيلة الوقت .. يمكنك أن تفتش حطام سفينة فى يوم فلا تجد شيئا .. ثم تهب الريح فى ذات الليلة لتجد أنت - فى ذات البقعة - كنزا من العملات الذهبية ..

ثم نهض وأردف مشيرا لـ (ساندرز) :

- هل يضايقك أن تغطس ثانية بحثًا عن المزيد من هذه ؟.. أريد أن أتخلص منها قبل أن يعرف بأمرها كل أحمق ومدمن من هنا حتى جزر (بهاما) .. أستطيع الغوص بنفسى لكن هذا سيكون إعلانًا عامًا للجميع .. فى كل مرة أضع فيها قدمى فى الماء تعرف (برمودا) كلها أن هناك كنزًا فى مكان ما ..

وأخرج من أحد الأدراج قطعتين من الصخر ناولهما لـ (ساندرز) :

- إذا أنت وجدت أمبولا آخر ، ضع واحدة من هذه فى مكان العثور عليها .. إن هذه الصخور تعكس الأشعة تحت الحمراء ، مما يمكننى على العثور على موضعها لو غطست ليلا ومعى كشاف للأشعة تحت الحمراء ..

- ليكن .. غدًا إذن ..

قبل أن ينصرفا عرضت عليه (جيل) قطعة المعدن المغلفة بمادة سوداء .. فعرض عليها أن يهشم الطبقة السوداء ليرى ما بالداخل ..

أحضر الأزميل والمطرقة وشرع - بيده العملاقة - يحاول إيجاد شق صغير فى الطبقة ..

ثم تمكن من إزالتها ..

- إنها قطعة عملة قديمة ..

وفى الضوء استطاعا أن يريا صورة صليب وقلعة وأسد يرفع قدميه الأماميتين .. صورة باهتة تماما ..

- هذا هو ما يصيب الفضة حين تغمر فى الماء .. تتحول إلى كبريتيدُ الفضة .. فلا يحميها سوى أن تكون مجاورة للحديد ..

سألته (جيل) :

- هل كانت تساوى الدولار ؟

- كلا .. لكن علامة الدولار الشهيرة جاءت منها .. إنها قطعة من فئة الثمانية .. وكانوا يكتبون جوارها حرف (P) اختصارًا لكلمة (قطعة) .. بعد فترة من الزمن تحولت (P8) لتصير S ..

ثم غمغم وهو يتأمل القطعة :

- عملة أسبانية هى .. أين وجدتماها ؟

- فى (جوليات) طبعًا ..

- غريب !.. لقد غرقت (جوليات) عام ١٩٤٣ ولم تكن عليها أية عملات أسبانية ..

قالت (جيل) فى دهشة :

- لكننا حقًا وجدناها هناك ..

- إن هذه الأشياء تحدث .. فالبحر يخفى أسراره



وفى الضوء استطاع أن يرى صورة صليب وقلعة وأسد يرفع قدميه الأماميتين ..

بعناد غريب .. وحين يكشف عنها يسخر منا .. تصورى لو أن سيلا أغرقنا جميعا الان فماذا يحدث بعد ثلاثمائة سنة ؟.. سيأتى الغواصون .. ولسوف يعثرون على قطعة عملة سقطت من جيبى .. سيفترضون وقتها أن هناك كنزا فى هذا المكان !

ــ قرأت مرة أن صبيا وجد على رمال الشاطئ قلادة ثمنها خمسون ألف دولار ..

ــ إن أشياء كهذه تحدث .. لكن إذا انتظرتيها فلن تحدث لك أبدا ..

وكانوا قد وصلوا إلى الباب .. فسأله (ساندرز) عن كيفية الاتصال به مستقبلا ..

ــ ابن عمى (كيفين) .. يمكنكما الاتصال به ..

ــ هل تعنى ذلك النصاب فى المطعم ؟.. لقد سلبنا عشر دولارات لمجرد أن يشير إلى مكانك .

ضحك (تريس) حين رأى الغيظ على وجه (ساندرز) :

ــ إنه يحب المال .. ولو كانت هناك وسيلة لاستخلاص المال من التراب فهو أول من سيكتشفها ..

عرفا كذلك أن (تريس) يعتبر ــ إلى حد ما ــ زعيما لهذه المنطقة .. فهو يدير الفنار ويحكم فى النزاعات ..

بل إن أهالى (سانت ديفيد) تكفلوا بمصاريف دراسته فى (إنجلترا) لأنهم يؤمنون أن الزعيم يجب أن يكون متعلما ..

كان قد ورث هذا المنصب عن أبيه الذى ورثه بدوره عن أجداده ..

- وهل نترك الأمبول معك ؟

- ذلك أفضل .. فإن أحدا لن يجرؤ على المجىء هنا لأخذها ..

أنا لا أستطيع الجزم بما يمكن أن يقوم به بعض المخبولين إذا شموا رائحة المال ..

وفتح لهما البوابة ثم أغلقها وراءهما ..

شرعت الكلبة تنبح وتزوم .. فقال ضاحكا :

- لقد اعتبرتكما من السياح مرة ثانية !

* * *

هل - حقا - يريدان أن يتماديا فى الأمر ؟

كان (ساندرز) فى الجامعة حين حضر محاضرة ألقاها (جاك - إيف - كوستو) قرر بعدها أن يصير (كوستو) الثانى ..

كتب للرجل عدة خطابات فلم يتلق ردا .. قابله فى محاضرة أخرى وعرض عليه العمل معه ..

أجابه (كوستو) بأدب - وبحزم - أنه يتلقى مئات الخطابات من أشخاص يظنون أنهم خلقوا لاستكشاف الأعماق .. لكنه لا ينظر لأى طلب بجدية مالم يأت من عالم بحار أو خبير تصوير تحت الماء ..

تزوج (جلوريا) - زوجته الأولى - وسافر معها إلى (واشنطن) ..

التحق بالعمل فى مجلة (الجغرافيا الوطنية) .. ثم تركها ليعمل سمسار عقارات .. ولقد حقق نجاحا لا بأس به فى هذا العمل ..

وجاء عام ١٩٧١ ولديه شقة أنيقة فى حى المال وطفلان جميلان وحساب بالبنك لا بأس به .. كان المفروض أن يشعر بالسعادة لكنه لم يستطع .. كان يشعر بالملل من (جلوريا) .. من حياته كلها .. فقط حين كان يذهب للتدريب على الغطس يشعر بشىء من التجديد فى حياته ..

وهناك قابل (جيل) الحسناء الشابة .. وبدأ الحب ينمو بينهما .. كانت تحب الماء مثله .. وتهوى كل ما يهواه ..

وذات يوم كان لابد لصفحة كاملة من حياته أن تنطوى ويبدأ صفحة جديدة هنا ..... فى (برمودا) ..

- ٥ -

للمرة الثانية اقتربا من سلسلة الصخور بقاربهما ..

وحين وصلا هناك أخرج (ساندرز) من جيبه كشافا صغيرا .. كان يريد أن ينظر داخل الكهف حيث وجدا الأمبول ..

قالت (جيل) :

- لكنها ليست عازلة للماء .. ستفسد على الفور ..

لكن (ساندرز) كان حويطا .. أخرج كيسا من البلاستيك دس الكشاف به ثم أحكم غلقه ، وضغط الزر فأضاء الكشاف .. فكرة بسيطة لكنها فعالة ..

ألقيا بالهلب ووثبا إلى الماء ..

وفى الأعماق كان ضوء الشمس يقطع الماء عموديا ، والظلال تتحرك هنا وهناك ..

ومن بعيد رأيا الكهف .. وقفا أمام فتحته وأضاءت (جيل) الكشاف وصوبته إلى الداخل محركة إياه يمينا ويسارا .. كان خاليا تفرشه الرمال الناعمة .. لكن (جيل) مدت يدها إلى الداخل وشرعت تعابث الرمال مكونة سحابة .. وحين فرغت كانت قد صنعت حفرة عمقها ثلاث بوصات ..

وهناك - فى داخلها - رأيا شيئا ما يلمع ..

كان هذا ما جاءا لأجله .. أمبولا مليئا بسائل شفاف تناوله برفق وناوله لـ (جيل) ثم سوى الرمال كأن شيئا لم يكن ..

وعلى مسافة قصيرة وجدا ما حسباه قطعة عملة .. ثم تبين لهما أنه قطعة من المعدن الأصفر على شكل دائرة على حافتها أربعة ثقوب .. لم يكن المعدن متآكلا .. واستطاعا فى الضوء أن يقرآ عليه (أ. ف) ..

واتخذا طريقهما صاعدين ...

وعلى متن القارب سألته (جيل) عن كنه هذا الشىء ..

- لا أدرى حقًا .. ربما هى قطعة مجوهرات ..

ورفع الأمبول يتفحصه فى ضوء الشمس ..

كان منهمكا بذلك فلم ير الشخص الواقف يراقبهما فوق صخور (أورانج جروف) ..

* * *

مرا بدراجتيهما على (تريس) ليخبراه بأمر الأمبول الجديد الذى وجداه ، فقال لهما إنه ينوى الغطس غدا ليلا ليتفقد المكان .. وأخذ منهما ذلك الأمبول ..

عرض عليه (ساندرز) قطعة المعدن الأصفر .
فتفحصها بعناية وضغط بإبهامه وسبابته على طرفها .
ثم سألهما وهو يبتسم :
- أين وجدتما هذه ؟.. إنها من الذهب !
- ذهب ؟.. يا إلهى !.. لكنها ليست متآكلة ولا مغطاة بالصدأ ..
- تلكم من خواص الذهب العجيبة .. يمكنك أن تضع قطعة ذهب فى البحر وتتركها إلى يوم القيامة .. وحين تخرجها تجدها كما هى .. لم ينم فوقها شىء ولم يتآكل منها شىء ..
ثم أضاف أنه يظن هذه القطعة كانت معلقة فى رقبة فتى غريق .. ويعتقد أنها ليست جزءا من حطام سفينة لأنه يعرف القاع كظهر يده .. لا يوجد ما يدل على غرق سفينة هناك وهو متأكد من هذا ..
سألته (جيل) عما إذا كانت تستطيع الاحتفاظ بها؟
فقال لها إن هذا ممنوع قانونيا إلا إذا رفضت حكومة (برمودا) شراءها .. وهذا يترك لها خيار التهريب أو طلب الجنسية البرمودية !
فارقاه على موعد عند الغروب غدا .. وركبا دراجتيهما ..

وفى الطريق أحس (ساندرز) أن سيارة خضراء تقتفى أثرهما بشىء من الإلحاح .. حاولا التملص منها لكنها قطعت عليهما الطريق ..
وبرز لهما رجل أسود فارع القامة من السيارة ، ولوح بمطواة فى وجه (ساندرز) داعيا إياه لركوب السيارة ..
- ماذا تريد ؟
- ثمة رجل يريد لقاءكما !
- من ؟..
- ستعرف حالا .. والآن لا داعى للبطولة الزائفة حتى لا أمزقك إربا ..
ودون كلمة أخرى دفع أحد الرجلين فى السيارة دراجتيهما البخاريتين ما بين الأشجار على جانب الطريق ، ثم أدخل الزوجين الشابين إلى المقعد الخلفى للسيارة وجلس جوارهما ..
- والآن .. هيا بنا ..

* * *

- ٦ -

كان الهواء ثقيلا داخل السيارة بينما هم راكبون ..

ودنوا من ميدان عام تشير اللافتات به أن (هاملتون) إلى اليمين و (أروكريك) إلى الأمام ..

كان هناك شرطى فى وسط الميدان ينظم المرور ..

وخطر لـ (ساندرز) أن يفتح الباب ويطلب الغوث .. لكن رأى السائق يلوح بيده محييا رجل الشرطة ، ورجل الشرطة يبتسم قائلا :

- كيف حالك يا (رولاند) !

عبروا جسر (سومرست) الصغير .. أى أنهم عبروا الجزيرة كلها .. وفى النهاية وصلوا إلى سوق مكتظ بالناس والبائعين والأطفال الذين يلهون هنا وهناك .

وأخيرا محل بقالة صغير عليه لافتة تقول (سوق تيدى) ..

وأمام الباب جلس زنجيان .. أحدهما يتسلى بقذف سكين صيد ، والاخر يرمقه عاقدا ذراعين عضليتين على صدر امتلأ بآثار الجروح .. متى رأيناه من قبل ؟

قال (رونالد) :

- والآن أخرجا ولا تحاولا شغبا وإلا ..

ترجل الجميع ودخلوا ..

وعند مروره بالرجل ذى آثار الجروح تذكره (ساندرز) .. هو (سليك) الساقى الذى رأى الأمبول أول من رآه ..

كان المكان مظلما من الداخل .. لكنهما - بعد أن اعتادا الظلام - رأيا صفوفا من البضائع وبابا موصدا فى المؤخرة ..

أشار لهما (رولاند) كى يتبعاه إلى الباب .. ودقه وأدخلهما ..

وفى الداخل جلس شاب فى العقد الثالث من العمر .. يلتمع جلده الأسود بفعل العرق .. على أنفه نظارة مذهبة .. ويرتدى قميصا أبيض منشى مفتوح الصدر عن قلادة ذهبية ..

والغرفة كلها تفوح برائحة العرق والفاكهة العطنة ..

- مرحبا بكما .. أنا (هنرى كلوش) ..

قالت (جيل) محاولة أن تبدو متماسكة :

- هل لى أن أعرف سبب وجودنا هنا ؟

- يا له من سؤال !.. طبعا من أجل الأمبول ..

ثم مد يده يطلبها .. فقال (ساندرز) :

- ليس معنا ..

- إذن إسمحا لى بالتأكد من ذلك ..

وبإشارة من إصبعه عمد رجلان ضخمان إلى تفتيش الزوجين بدقة .. وبالطبع لم يجدا شيئا ..

قال (كلوش) وهو ينظر بعيدا :

- إذن لابد أنها عند (رومر تريس) .. على كل حال هى واحدة فقط ولا أهمية لها ..

- إذن لماذا كل هذا ؟

- لأننى مصمم على الحصول على كل أمبول .. أعتقد أنكما تعرفان الأسطورة جيدًا وتعرفان محتوى تلك الأمبولات ..

- وفيم تريدها ؟

- هذا ليس شأنكما .. إننى بحاجة لكما لأنكما تجيدان الغطس وتعرفان مكان هذه الأمبولات ..

قال (ساندرز) فى حنق :

- نعرف فقط مكان أمبولين منها .. وهناك غطاسون يعرفون هذا المكان خيرًا منا ..

- ربما .. لكن البريطانيين أرادوا دائما أن يكون السود أقل منهم فى كل شىء .. وهكذا لم يأت إلى (برمودا) غطاس أسود بارع حتى اليوم .. لكنكما أبيضا البشرة وسائحان .. وسيكون فى مقدوركما أن

تغوصا دون إثارة شبهات .. ثم عقد أصابع يديه وأردف :

- أريد منك يا مستر (ساندرز) أن تغوص وتخبرنى عن عدد هذه الأمبولات .. فإذا كان قليلا - بمعنى أن الأسطورة مجرد أسطورة - فعليك أن تخبرنى بهذا وجائزتك هى الصحة والعافية وإجازة سعيدة فى (برمودا) .. أما إذا كان العدد كبيرًا فإننى أطالبك بأن تستخرج لى تلكم الأمبولات .. وبعدها تعودان إلى (نيويورك) .. ومن هناك تتصلان برقم هاتف أحدده لكما كى تطلبا إيداع مليون دولار فى أى حساب مصرفى تريدانه ..

ثم لوّح بإصبعه فى وجه (ساندرز) محذرًا :

- كلمة أخيرة .. لو أنك حاولت اللجوء إلى السلطات لوجدت أننى - رسميًا - لا وجود لى .. أما لو حاولت الفرار من (برمودا) فلسوف تجد أننى فى الواقع موجود فى كل مكان .. فلا ملجأ لك ..

ثم استدار إلى (رولاند) :

- والآن .. عُد بهما إلى الفندق ..

* * *

إذ دخل (ساندرز) الحمام فى غرفتهما سمع صوت



هرع إلى غرفة النوم وانتزع منها السماعة وأعادها إلى جهاز الهاتف ..

قرص الهاتف يدور .. ثم سمع (جيل) تقول فى صوت ملهوف :

- أرجو أن توصلنى بالشرطة لو سمحت !..

هرع إلى غرفة النوم وانتزع منها السماعة وأعادها إلى جهاز الهاتف .. ثم قال لها :

- هلا هدأت أولا ؟

انتزعت يده من على كتفها وصاحت بعصبية :

- أريدهم أن يقبضوا عليه .. ألم تر ما يريده منا ؟

- لأى سبب يقبضون عليه ؟.. ما الدليل ؟.. ألم يقل أنه رسميًا لا وجود له ؟.. ألم يلوح له رجل المرور ؟.. من الممكن أنه يضع جهاز الشرطة كله فى جيبه ..

- إذن نطلب الحكومة البريطانية ..

- أرى أنه من الحكمة أن نبلغ (تريس) أولا ..

وهنا عطست .. فمسحت أنفها بالمنديل وتأملته .. كانت هناك بقعة من الدماء عليه ..

- لم يزل الدم ينزف من أنفى ..

- ماذا تعنين بأنه (لم يزل) ؟

- كان هناك دم فى قناع وجهى حين غادرت الماء اليوم ..

* * *

فى الصباح التالى وجدا دراجتيهما البخاريتين أمام باب الكوخ ..

ارتجفت (جيل) حين فكرت أن هؤلاء الرجال المرعبين كانوا هنا ليلا وهما نائمان .

ذهبا إلى (تريس) حيث استقبلتهما الكلبة كالعادة ..

وفى المطبخ وجدا (تريس) جالسًا أمام كومةً من الأوراق التى جمعها - كما قال لهما - طيلة حياته .. كلها تحوى معلومات عن السفن الغارقة .. ماذا كانت تحمل ؟.. أين غرقت ؟.. من نجا منها ؟.. وقد جمع أكثرها من أرشيف (مدريد) و (كاديز) و (أشبيليه) ..

- أحاول أن أعرف ما إذا كانت سفينة أخرى قد غرقت فى نفس موضع (جوليات) .. ولربما وجدت ما يقودنى إلى غريق يبدأ اسمه بحرفى (أ . ف) كالحلية التى وجدتماها .. ولكن لماذا أتيتما مبكرًا اليوم ؟

حكيا له لقاءهما غير الودى مع (كلوش) ..

فما أن سمع القصة حتى بدت عليه سيماء من وجد أخيرًا ما توقعه من شر ..

- اللعنة !.. هل تعرفان الرجل ؟

- وهل هو شهير ؟

- لقد جاء أصلا من (هايتى) وجعل نفسه بطلا أسطوريًا بين السود هنا .. أغلبهم يعتبرونه (تشى جيفارا) المحلى(*) .. كما أن أمه لها نفوذ كبير فى السحر ..

- سحر ؟

- نعم .. إن لها أيقونات صغيرة فى أكواخ (المارتينك) .. كانت خادمة فى فندق ثم مرضت وطردها البيض .. أما ابنها (كلوش) فكان محصل تذاكر .. لكنه كان ذكيًا .. أخذ أمه إلى الغابة وجعلها رمزًا لاستغلال البيض .. جعل منها عرافةً سوداء شافية مقدسة .. وشرع يجول هذه الجزر يبشر السود أن وقت الخلاص قد حان .. ، إن السود يعاملون معاملة عنصرية فى هذه الجزر ولا ينالون حقوق البيض .. لهذا فإن أى هدوء هو هدوء وقتى نسبى ..

قد تحدث ثورة فى أى وقت خاصةً وأن (كلوش) يجيد الخطابة .. ومن السهل أن تقنع الناس أنهم يستحقون أكثر مما يحصلون عليه ..

(*) تشى جيفارا : ثائر أرجنتينى شيوعى حارب فى (كوبا) واكتسب شعبية أسطورية ، حتى قتله الأمريكيون فى أواخر الستينات .

- هل هو شيوعى ؟

- لا .. كل ما يريده هو أن يحكم الجزيرة .. وسيطلق عليها وقتها اسم (الجمهورية الشعبية) لأى شىء يتفق عنه خياله ..

- وما دور المخدرات ؟

- إن الثورات تكلف مالا .. أظن أنه سيحاول بيع هذه المخدرات فى (الولايات المتحدة) .. مليون دولار !.. ألم يسل لهذا المبلغ لعابكما ؟

تبادل (ساندرز) نظرة مع (جيل) وقال :

- الله يعلم أننا بحاجة إلى ربع هذا المبلغ ..

قال (تريس) :

- هذه الليلة نبحث عن أمبولات أخرى .. فإذا لم نجد يمكنكما إعطاء (كلوش) الاثنتين اللتين وجدناهما .. ولنأمل أن ينتهى الأمر على هذا .. ولكن قبل ذلك أرى أن نتحدث إلى (آدم كوفين) ..

- ومن يكون ؟

- إنه الوحيد الذى نجا من (جوليات) .

ثم إنه وضع الأمبولين فى جيبه ..

قالت (جيل) :

- بمناسبة الغوص .. لقد نزف أنفى أمس ..

- أوه !.. إن هذا يحدث حين تفارقين الماء فترة . ثم تعودين للغطس .. يمكنك ألا تغطسى معنا هذه الليلة .. وهكذا ...

ركبوا جميعا سيارة (كيفين) ابن عمه قاصدين مسكن هذا المدعو (آدم كوفين) ..

كانت السيارة ضيقة جدا على جسد (تريس) العملاق ، حتى أنه انحنى إلى الأمام وكانت ساقاه طويلتين إلى درجة أنه — لإخراجهما من الباب — مال بجذعه خارج السيارة ، واستند بذراع واحدة حتى جر ساقيه خارجا ..

قال فى غل :

- سيارات غبية .. تصلح للأقزام !

سأله (ساندرز) :

- لم لا تستعمل دراجة بخارية ؟

- إنها آلات انتحار .. ميزتها الوحيدة رخص ثمنها ..

وكان (آدم) واقفا فى الحديقة يعنى بزهوره .. أقرب إلى هيكل عظمى ملىء بالتجاعيد ويرتدى سروالا قصيرا ، وحين ابتسم لم تكن فى فيه سن واحدة سليمة ..

رحب بـ (تريس) ودعاهم إلى الداخل ..

قدم لهم بعض الشراب ، ثم جلس ضاحكا :

– ما سر هذه الزيارة ؟.. أم أن هذا هو يوم (الأمم المتحدة) لزيارة العجائز ؟

لم يرد (تريس) .. فقط دس يده فى جيبه وأخرج الأمبولين ووضعهما أمام عينى (كوفين) ..

لم يلمسهما الرجل بل ظل ينظر إليهما دون كلمة .. ثمة شىء فى عينيه ينطق بالرعب .. ربما الإثارة ..

بعد برهة نظر نحو (ديفيد) و (جيل) وتساءل :

– ماذا يعرفان عن الموضوع ؟

– كل ما أعرفه – قال (تريس) فى كياسة – ولو لم تصارحنا بكل شىء فإن (كلوش) سيأتى ليقتلك .. كم كان عدد الأمبولات ؟

شرب (كوفين) كأسه بيد مرتجفة :

– كانت معبأة فى علب السيجار .. ثمانية وأربعون فى كل علبة .. سجل السفينة يقول أن هناك عشرة آلاف علبة سيجار .. معظمها (مورفين) .. بعضها (أدرينالين) ..

– لم يكن هناك (هيروين) ؟

تكفلت (جيل) بالإجابة :

– إنه نفس الشىء ..

– ماذا تعنين ؟

– إنه هو نفسه .. ما (الهيروين) إلا (مورفين) تم تسخينه مع حمض الخليك .. فما أن يدخل الجسم حتى يخرج منه (المورفين) ..

– إذن لماذا لا يتعاطى المدمنون (المورفين) ؟

– إن المدمنين لا يختارون .. تجار المخدرات هم المسئولون عن ترويج (الهيروين) لأنه أكثر ربحا .. إن حمولة (جولیات) تصلح لعمل نصف مليون جرعة (هيروين) ستباع الواحدة منها فى الشارع بعشرين دولارا ..

قال (تريس) :

– سنغطس الليلة لنرى ..

وضع (كوفين) كأسه على المائدة وهتف :

– حسن جدًا .. أنا مستعد .

– لا .. سنذهب نحن .. ربما احتجنا إليك فيما بعد ..

ضرب (كوفين) بقبضته على صدره وهتف وقد احمرّ وجهه بفعل الخمر :

– لكن هذه سفينتى !.. أتظننى لا أصلح للغطس ؟.. إننى قوى كالحصان ..

كان الرجل يدنو من السبعين عاما ..

ولقد حاول (تريس) أن يمنعه فى كياسة دون أن يؤذى شعوره .. قال له إنه - (كوفين) - شهير جدا فى المنطقة . ولو أن أحدا رآه يغوص لعرف على الفور أن فى الأمر شيئا ما ..

بدا الرضا على العجوز ووافق على ذلك ..

وخرجوا من داره .. وشرع (تريس) يدفن جسده العملاق فى السيارة على مراحل كأنه أخطبوط يدس نفسه فى كهف ضيق ..

قال (كوفين) :

- لا تتنفس بعمق وإلا ضغط صدرك آلة التنبيه !

وقبل أن ينصرفوا استدار (تريس) نحو (جيل) :

- هل ستقضين الليل فى الفندق ؟

- أظن ذلك ..

- إذن أحكمى غلق الأبواب .. لا أريد أن أفزعك لكن (كلوش) سيعرف حتما أنك هناك !

- أعرف ذلك ..

قالتها ومشهد الدراجتين البخاريتين أمام بابها لا يبرح مخيلتها .. وأدركت أنها ستكون ليلة مريعة ..

* * *

كان القمر يرسل أشعته الفضية فوق سطح الماء ..

وفوق قارب (تريس) وقف (ساندرز) يرمق البحر ويرمق (تريس) .. حين سمع عواء آتيا من مقدمة القارب ..

الكلبة (شارلوت) قابعة هناك تنبح وذيلها يهتز ..

- ماذا دهاها ؟

- إنها رأت الوميض الفوسفورى ..

ونظر (ساندرز) إلى جانب القارب فرأى أضواء صغيرة لامعة على جانبى الماء ..

قال (تريس) مفسرًا :

- إن القارب يثير الأحياء المائية الدقيقة حتى أنها تشع الضوء .. كان اليابانيون يدعكون بها أيديهم أثناء الحرب كى يستطيعوا قراءة الخرائط فى الأدغال ليلا ..

(شارلوت) تريد أن تلتهم هذا الوميض ..

- إن شهيتها قوية حقًا ..

- يوما ستكون هى نفسها طعاما .. منذ فترة رأت سمكة قرش تدور فى الماء .. فوثبت فوق ظهر القرش محاولة أن تقضم منه قطعة !

وساد الصمت من جديد ..

يرمقان مياه الليل والأنوار المتلألئة من بعيد ... ،

أحس (ساندرز) بمزيج عجيب من الرضا والفخار .. بل ـ صدق أو لا تصدق ـ بسرور صبيانى لأنه يخوض هذه التجربة دون (جيل) ..

مشى إلى مقدمة القارب ليقف هناك . ويحذر (تريس) إذا رأى ما يمكن أن يصطدما به .. فقد كانت هناك صخور لا أول لها ولا آخر .

وفى ضوء القمر الفضى رأى شيئا يظهر فوق الماء .. ثم يختفى على الفور .. نظر نحو (تريس) متسائلا .. فرد هذا :

ـ براكودا !

وبعد قليل رأى (ساندرز) حلقات من المياه تبتعد عن مركز دائرة كما لو أن هناك من رمى بحجر فى قلبها ..

نادى (تريس) ليرى .. فأوقف هذا المحرك وألقى بالهلب ، ثم ثبت الحبل بين الصخور المرجانية ..

ـ هذه صخور تحت الماء .. لقد كنا فى الطريق إلى الهلاك ..

ونزل (تريس) إلى القمرة .. ورمى ردائى غطس من المطاط الأسود إلى السطح ..

ـ هل الماء بارد ؟

ـ لا .. لكن الصخور تمزق جسدك فى الظلام ..

قالها (تريس) وتناول كشاف ضوء كبيرا معزولا .. وصندوقا معدنيا فتحه فرأى (ساندرز) بداخله قناعا وكشاف ضوء يشبه المسدس ..

ـ هذا هو مصدر الأشعة تحت الحمراء .. وبواسطته أجد الصخور التى تركتها أنت ..

ثم أنهما ارتديا ردائيهما ..

ـ انظر فى ساعتك .. بعد نصف ساعة ـ ومهما كان معك من هواء ـ يجب أن تصعد .. لا أريد المجازفة .. حين نصل إلى القاع أضىء النور وأعرف أين مكانك بالضبط ثم أطفئه فورا .. لا أظن أن أحدا يقفو أثرنا .. لكننى لست راغبا فى إرسال دعوات عامة لهم ..

ودس كل منهما خرطوم التنفس فى فيه .. ثم انقلبا إلى الوراء واثبين إلى الماء ..

* * *

كان الظلام دامسا .. ظلاما مطلقا ..

لم يستطع (ساندرز) أن يرى فقاقيع الهواء الخارجة منه .. ولا حافة نافذة قناعه الزجاجية .. ولا حتى إصبع يده ..

ولأول وهلة ظن أنه صار ضريرا أو أن النور لم يُخترع بعد ..

كان يهبط إلى القاع مع الزفير .. ثم أخذ شهيقا أبطأ من سرعة انحداره .. شعر بالسكينة وبانعدام الحيلة ، ففرد ذراعيه وترك جسده ينساب بنعومة إلى أسفل ..

وعلى القاع جلس على ركبتيه وأضاء البطارية ..

أدار شعاعها يمينا فيسارا يتأمل الألوان الزاهية التى أظهرها شعاع الضوء على الرمال ..

أى إبهار !.. فى ضوء النهار كانت الرمال رمادية اللون والصخور بنية والأسماك خضراء ، وكل هذا مع مسحة من اللون الأزرق الباهت .. أما الآن فهو يرى الألوان الطبيعية الزاهية .. الأحمر للشعاب المرجانية والوردى الزاهى للأسماك ..

وفى طرف دائرة الضوء رأى رأس (براكودا) صغيرة ..

أحس (ساندرز) بقشعريرة وتساءل فى سره عما إذا كان الظلام الدامس يدارى قروشا ..

وهنا لمس شىء كتف (ساندرز) فأجفل ..

كان هذا هو (تريس) الذى أشار له لأعلى .. ثم أشار له أن يطفئ النور .. ففعل ..

مد يده وأمسك يد (تريس) وتركه يقوده .. فـ (تريس) يبصر الآن بالأشعة تحت الحمراء ..

وأخيرا أضاء الكشاف فرأى أنهما يقفان خارج الكهف الذى وجدا فيه الأمبول أول مرة ..

وبسرعة بدأ (تريس) يجرف الرمال .. يزيلها .. ويوسّع الفتحة حتى أخرج منها شيئا يشبه ورقة بنية اللون .. ثم .. أمبولا زجاجيا سليما .. قطعا من الخشب المتعفن ..

أدرك (ساندرز) أنها أجزاء من صناديق السيجار التى كانت تحوى الأمبولات ..

وأخيرا خرج صندوق مربع بنى الشكل تهالكت جوانبه تماما .. لكنه كان يحوى ثمانية وأربعين أمبولا متراصة ما بينها حواجز من الورق المقوى ..

بعد قليل بدا لهما صندوق آخر ..

كانت ثلاثون دقيقة قد مرت عليهما تحت الماء ..

وأشار (تريس) لأعلى إلى (ساندرز) وأخذ منه الكشاف ..

ارتفع هذا الأخير ببطء ـ دون أن يحرك ذراعيه ـ إلى أعلى ، شاعرا بوهنه ووحدته وسط هذا السواد اللانهائى حوله .. كان آخر ما يرجوه هو أن يلفت نظر كائن ما ..



وبسرعة بدأ (تريس) يجرف الرمال .. يزيلها .. ويوسّع الفتحة حتى أخرج منها شيئا يشبه ورقة بنية اللون ..

وعند السطح أدرك أنه ابتعد خمسين ياردة عن القارب .. فسبح نحوه بحركات منتظمة وتسلق سطحه .. فكّ حمالتي كتفيه وجلس يلهث على صوت عواء آت من مقدمة القارب ..

بعد ثوان ظهر وجه (تريس) من تحت الماء ، فبصق الخرطوم من فيّه وتساءل :

ـ أين (شارلوت) ؟

ـ في المقدمة .. لابد أنها نائمة ..

دون انتظار وثب (تريس) إلى ظهر القارب فرمى خزان الهواء من على ظهره .. وهتف :

ـ هراء !.. إن هذه الكلبة لا تنام .. بل تنتظر خروجي من الماء لتلعق الملح من على وجهي ..

وهرع بسرعة وثقة إلى مقدمة القارب .. وتبعه (ساندرز) ..

ـ الأوغاد !

سمعها (ساندرز) فوثب قلبه إلى فمه ..

كانت الكلبة متكورة على نفسها ، تنهش مؤخرتها محاولة أن تخرج جسمًا لامعًا من ذيلها عند اتصاله بالردف ..

كانت تعوى من الألم .. ولقد انحنى (تريس) في

رقة فنزع هذا الجسم المعدنى من جسدها ..

وعلى الضوء الذى أثاره (ساندرز) رأى سهما طوله بوصتان على شكل ريشة ..

ـ (كلوش) !

قالها (ساندرز) وقد رأى الشىء ..

ـ حين رأينا (كلوش) كان يعلق فى عنقه ريشة كهذه .. لا بد أن هذه هى بطاقة زيارته ..

ـ الوغد !.. إذا ظن أن إيذاء كلبى سيقنعنى بالتعامل معه فهو مخطئ .. هات لى صندوق الإسعاف لأضمد هذه السيدة العجوز ..

وفى حنان ورفق حلق الشعيرات المحيطة بالجرح ونظفه .. ونثر فوقه مسحوق (السلفا) .. ثم إنه ضمد الجرح وهو ما ينفك يداعب الكلبة ويحدثها ..

ـ أنت قد ذقت لحمك ووجدتيه شهيًا .. لا يوجد ما يمنعك الآن من التهام نفسك حتى العنق !

ثم أنهضها، واستدار إلى (ساندرز) قائلاً :

ـ يبدو لى أن مخزن (جوليات) اصطدم بالصخر أولا .. وسقطت كمية صغيرة منه .. بعد ذلك أخرج أحشاءه كلها .. وإن كمية هذه المخدرات لتفوق تخيلى ..

ـ وهل نقدر على إخراج كل الكمية ؟

ـ نحتاج إلى شفاط هواء .. كما سيكون علينا الغوص بمعدات (ديسكو) .. إن هذا يؤمن تهوية مستمرة فلا يتحتم علينا الصعود للسطح لتغيير خزانات الهواء .. سيكون الأمر عسيرا لأن الأمبولات مخلوطة بالقذائف .. إن النحاس يتآكل لكن (الكوردايت)(*) سيكون صالحا تمامًا للانفجار .. فما أن تسقط قذيفة فوق الصخرة حتى تحدث كارثة ..

ثم مدّ يده لصدره وأخرج شيئا ناوله لـ (ساندرز) ..

ـ وجدت هذه جوار الصخر بعد ما صعدت أنت للسطح ..

كانت قطعة عملة متآكلة عليها نقش لأسد ، وحرف (ا) اللاتينى ، ورقم (١٧٠) ..

ـ كانت جوار قطعة حديدية لذلك لم يتطرق إليها العطب كتلك التى وجدتها أنت .. حرف الـ (ا) يعنى أنها سُكت فى (المكسيك) فهل تدرك معنى هذا ؟

ـ أى أن المركب التى حملتها كانت تقصد (أسبانيا) ..

(*) الكوردايت : متفجر لا لون له يصنع على شكل حبال .

ـ أحسنت .. كانت عائدة من العالم الجديد .. الأرقام التى عليها هى الأرقام الثلاثة الأولى من تاريخ سكها .. فى وقت ما من السنوات الأولى من القرن الثامن عشر ، وفى هذا الوقت كان (فيليب الخامس) يعتلى عرش (أسبانيا) عام ١٧٠٠ م .

ثم ضاقت عينا (تريس) فصارتا عينى ثعلب وأردف :

ـ فى عام ١٧١٥ م . غرق أسطول كبير أثناء عودته إلى (أسبانيا) .. عشر سفن تحمل ذهبًا وفضة .. وفى عام ١٩٦٠ تمكن غواص يدعى (كيب واجنر) من العثور على ثمان سفن حمولتها تقدر بثمانية ملايين من الدولارات .. المشكلة هنا أن السفن قد غرقت عند (فلوريدا) .. ومن المستحيل أن يحرك البحر حطام سفينة مسافة تتجاوز ألف ميل .. لهذا لا أميل للظن أن هاتين السفينتين غرقتا عند (برمودا) ..

وأخرج من جيبه ميدالية أخرى عرضها على (ساندرز) .. كان عليها رسم لرأس امرأة كتب تحته (سانتاكلارا) .. وعلى الوجه الآخر كتب الحرفان المعهودان (أ . ف) ..

ـ لقد أمضيت النهار كله أبحث بين الأوراق .. لكنى

لم أجد ضابطا أو نبيلا يبدأ اسمه بهذين الحرفين ..

ثم إنه دس الميدالية والعملة فى جيبه ، وأرسل (ساندرز) ليرفع الهلب ، وبدأ محرك القارب ..

سأله (ساندرز) وقد عاد إلى القمرة :

ـ ماذا عن (كلوش) ؟

ـ هو يعرف الآن أننى مهتم بالأمر .. ولن يصبر كثيرا قبل أن يحاول معى شيئا .. وأرى من الحكمة أن تعود مع زوجتك إلى الوطن .. فقد يترككما بسلام ..

لكن الأمر كان يعنى الكثير لـ (ساندرز) ..

حلمه القديم بالعمل مع (كوستو) .. الترحال حول العالم .. ها هو ذا القدر يهديه فرصة على طبق من فضة كى يعيش الحياة بدلا من الاكتفاء بمشاهدتها .. القيام بما لم يقم به من قبل ..

كان يعرف أنه سيستمر فى المخاطرة ..

* * *

حكى له (تريس) قصصا طريفة عن مزورى الذهب الأسبانى ..

قال له إن التزييف سهل نوعا .. ومن الصعب فحص قطعة ذهب إشعاعيًا لمعرفة عمر الكربون بها ..

حكى له أنه ـ منذ عام ـ تلقى مكالمة هاتفية من

متحف (فورستر) ليفحص بعض العملات التى وجدوها ..

لم يكن في العملات ما يدعو للريبة .. وظل أسبوعا كاملا يحدق فيها عاجزًا عن تمييز تزييفها أو جودتها ..

وفجأة ـ بعد لأى ـ وجد حرف (ب) اللاتينى على العملات ، أى أنها سُكت فى (بوتوسى) فى (بيرو) ـ اسمها الآن (بوليفيا) ـ والتاريخ على العملة كان ١٦٢٧ م .

كان هذا هو الفيصل ..

لماذا ؟.. لأن دار سَكّ عملة (بوتوسى) لم تبدأ العمل إلا فى عام ١٦٥٠ م .. ومعنى هذا أن المخادع الذى وجد تلكم العملات أنفق آلاف الدولارات لشراء ذهب يسك منه هذه العملات ..

ولِمَ لا ؟.. إنك تستطيع بيع عملة ذهبية ملكية واحدة بخمسة آلاف دولار .. لقد كان النصاب يسعى لتسويق أسهم شركة لا وجود لها تستكشف حطام السفينة (سان دييجو) التى غرقت عام ١٥٨٠ م ..

لقد صار الشك بخصوص العملات قاعدة فى عالم السفن الغارقة حتى أن بعض الشرفاء الذين يملكون عملات أصلية لا يجدون مشتريًا لذهبهم ، ويبيعونه لأطباء الأسنان بالجرام .. عملات عمرها أربعة قرون تنتهى فى أسنان النساء المتصابيات !

* * *

وصل القارب إلى المرفأ فى الحادية عشر مساء ..

وودع (ساندرز) (تريس) إلى الغد .. وركب دراجته البخارية قاصدًا الفندق .. يشق الظلام بنورها الخافت ..

وفجأة ..

تصلب جسده إذ رأى شبحًا يقف أمامه فى الظلام خارج مجال ضوء الدراجة .. وسمع صوتًا يتساءل :

ـ هل فكرت فيما عرضناه عليك ؟

لم يكن هذا صوت (كلوش) .. وارتبك (ساندرز) حول كيفية التصرف الصحيح .. أجاب متلعثمًا :

ـ أنا .. أنا .. لم نجد شيئًا ..

ـ هل وصلت إلى قرار ؟

ـ حسن .. إننى ..

ـ نعم أم لا ..

ـ لا أعرف .. لم يمر وقت كاف و ...

ودون كلمة أخرى اختفى الشبح بين الشجيرات ..

ولكن .. لماذا لم يفعلوا معه ما يريدون ؟..

لماذا يتركونه ؟..

وهنا خطر الجواب على ذهنه كومضة البرق ..

(جيل) !..

- ٨ -

سقط مرتين بالدراجة فى طريق العودة ..

مرة وهو يدور حول منحنى .. سقط على ركبتيه وكفيه وخدش جلده ..

ومرة أخرى غاص بين الشجيرات وخدش وجهه ومزقت ثيابه ..

لو حدث شىء لـ (جيل) فقد حدث وانتهى ..

لقد مرت ساعة كاملة منذ تكلم مع الرجل على الطريق ..

وأخيرا رأى الكوخ ورأى ضوءا فى نافذته ..

هرع فى جنون إلى هناك .. فتح باب غرفة النوم ليرى (جيل) جالسة على الفراش مشعثة الشعر تحدق فى الأرض دون أن تحيد بعينيها ..

فما أن رأته حتى انفجرت باكية .. طوقها بذراعه مهدئا .. لم تكن هناك آثار عنف لكنه تمنى أن يذبح كل هؤلاء الأوغاد ..

- ماذا فعلوا ؟

- لا شىء .. لا تخف ..

- إذن ماذا ؟

- فى الحادية عشرة ذهبت للنوم .. لا أدرى كم من الساعات نمت لكننى صحوت على دق على الباب .. قال لى الطارق : إنه من الشرطة وأنك أصبت فى حادث .. كان العذر مقنعا وفتحت الباب ملهوفة لأجد ثلاثة منهم .. كلهم من رجال (كلوش) .. أحدهم هو الساقى إياه .. (سليك) .. سألنى عما إذا كنا سنتعاون معهم .. ثم رمى لى هذا الصندوق على الأرض قائلا إنها هدية لنا من (كلوش) ..

مد (ساندرز) يده إلى الصندوق وفتحه .. ثم هتف :

- رباه !

* * *

دمية هى .. مصنوعة من قماش قطنى محشو بالقش .. ولكن معناها كان واضحا .. الشعر على الرأس آدمى له نفس لون شعر (جيل) .. والجسد ممزق بالسكين فى عدة مواضع ، وقد سدت التمزقات بقطع من القطن لها لون الدم ..

تقلصت كفه على الدمية .. وسرى الخوف فى عموده الفقرى ..

إن التهديدات له لا تهمه كثيرا .. لكن إقحام (جيل) فى الأمر ...



تقلصت كفه على الدمية .. وسرى الخوف فى عموده الفقرى ..

وسرعان ما اتخذ قراره ..

ـ ألو .. شركة (بان أمريكان) .. من فضلك ..

وانتظر بضع ثوان .. ثم هتف :

ـ ماذا ؟.. شركـات الطيـران مغلقة حتى التاسعة صباحا ؟.. شكرا لك ..

ووضع السماعة على حين كانت (جيل) عائدة من الحمام تحمل كأسا من الشراب .. فسألته عما يفعل ..

ـ أحاول الفرار طبعا .. لن أدع لهؤلاء المجانين فرصة كى يمزقوا أحشاءك ..

ـ لكننا لن نستطيع تركهم يفعلون ما يريدون .. كما أن هربنا الآن معناه أن نمضى عمرنا تحت التهديد .. أرى أن الشىء الوحيد الممكن هو إبلاغ الأمر إلى السلطات .

ـ قال (تريس) إن هذا لا جدوى منه .

ـ لكننا سنفعله ..

* * *

كان (تريس) منهكا بعد أن قضى أمسية شنيعة .. عرفا هذا من عينيه الحمراوين والجلد المتورم تحتهما .. وعلى مكتبه تكدست أوراق مصفرة وصور عتيقة .. حكيا له ما تم بالأمس وعرضا عليه الدمية .. فقال :

ـ لا أعتقد أنه سيحاول إيذاءكما الآن فهذا سيثير عاصفة غضب ضده ، كما أنه يحتاجكما .. لكن خذا الحذر .. لو تأكد حقًا من أنكما لن تتعاونا معه فهو قمين بذبحكما دون أن يحفل بشىء ..

ثم صبّ لنفسه قدحا من الشراب .. وقال :

ـ أريدكما أن تسمعا ما توصلت إليه البارحة .. تذكر يا (ساندرز) أننى كلمتك عن أسطول من عشر سفن غرق عام ١٧١٥ م .. لقد كان هذا الأسطول تحت إمرة جنرال اسمه (دوق خوان إسطبان دى أوبيللا) .. كان يريد العودة إلى (أسبانيا) لكنه اضطر إلى البقاء فى (هافانا) لبعض الإصلاحات .. وهنا ظهر رجل يدعى (دارا) يقود سفينة اسمها (الجريفون) .. وطلب من (أوبيللا) أن يشمله بحمايته ويقبل سفينته فى أسطوله لأنها .. محملة بالذهب وهو خائف من قراصنة (الكاريبى) ..

حاول (أوبيللا) التملص لكن (دارا) استعان بأعلى مسئول ملكى فى (هافانا) ..

وهكذا صار الأسطول مكونا من إحدى عشرة سفينة ..

ورفع ورقة صفراء لوح بها وأردف :

ـ لقد غادروا فى ٢٤ يوليو ١٧١٥ م ، وعلى متن

السفينة ألفا رجل وثلاثون مليونا من الدولارات .. ثم إن السفن غرقت جميعا عند ساحل (فلوريدا) فلم تنج سوى سفينة (دارا) ..

ولقد عادت السفينة إلى (هافانا) ثم ـ بعد ذلك ـ اختفت أخبارها تماما .. ومن المرجح أنه غرق هنا .. فى تلك الآونة لم يكونوا يعرفون خطوط الطول ، وكانوا يعتبرون (برمودا) نقطة مناسبة للانحراف شرقا فى طريق العودة .. لهذا غرقت أكثر من ثلاثمائة سفينة عند هذه الجزيرة ..

ثم التمعت عيناه بفرح :

ـ هكذا ـ ترون ـ اجتزنا مرحلة أحلام اليقظة .. حتما هناك سفينة .. وأنتما أول من وجدها .. لا أرغب فى أن ترحلا من هنا قبل أن تعرفا أن نصف ما أجده هو من حقكما ..

قالت (جيل) وقد تذكرت ما كانت تريد قوله :

ـ مستر (تريس) .. لقد قررت إبلاغ الحكومة بشأن المخدرات ..

ضرب (تريس) المنضدة بقبضته وصاح :

ـ يا إلهى !.. الحكومة لن تفيدك بشىء !

ـ أنا أعرف مدى احتقارك للحكومة ، لكن هذا واجبى ..

انتصب (تريس) واقفا فى حنق .. وهتف :

ـ إذن أخبريهم وتعلمى الدرس بنفسك ..

وأحسا عندئذ أنه راغب فى إنهاء الزيارة .. فانصرفا ..

* * *

فى الفندق طلبت (جيل) مصلحة الجمارك .. وقالت لمن ردّ عليها أنها ترغب فى مقابلة مسئول بصدد عملية تهريب ..

ـ من المتكلم ؟

كادت تقول اسمها ، ثم تذكرت أن (كلوش) موجود فى كل مكان .. فاعتذرت عن ذلك فى الوقت الحالى ..

ـ هل أنت أمريكية ؟

ـ نعم ..

ـ إذن أقترح أن تتصلى بمصلحة السياحة ..

ووضع الخط ..

طلبت (جيل) مصلحة السياحة ، فحددوا لها موعدًا فى الرابعة ، وكالعادة رفضت إعطاء اسمها ..

وفى الموعد ذهبا إلى مصلحة السياحة ، فقالت لهما موظفة الاستقبال ـ وهى فتاة سمراء جميلة ـ أن المدير غير موجود وأنهما سيقابلان مساعده .. مستر (هول) .

كان المستر (هول) أبيض البشرة فى الأربعين من عمره .. وكان ودودا أحسن استقبالهما ودعاهما إلى الجلوس .

شرعا يحكيان له القصة الكاملة ـ مع حذف قصة السفينة الأسبانية طبعا ـ وهو يصغى باهتمام :

وحين انتهيا أبدى اعتذاره على ما لقياه من متاعب ، ووعد بأن يطلع الوزير على تفاصيل المشكلة .. فالوزير غير موجود .. إنه فى (جامايكا) يحضر مؤتمرًا إقليميًا لكنه سيعود بعد أيام .. ، وعد كذلك بأن يجرى تحريات سرية لمعرفة هذا المدعو (كلوش) ..

فارقاه وقد أدركا أنهما ـ إذا توقعا منه عملا إيجابيًا ـ سيموتان شيخوخة أو كمدًا قبل أن يحقق شيئا ..

* * *

وحين عادا إلى (تريس) وأخبراه بما تم وما انتوياه ؛ تم الاتفاق على أسلوب جديد للحياة ..

سيأتيان ليقيما معه فى منزله !..

* * *

ـ ٩ ـ

استقبلهما (تريس) مع كلبته ، ففتح لهما الباب حتى يدخلا حاملين ما جلباه معهما من حقائب كبيرة وخزانات هواء ..

ثم أنهما دخلا إلى غرفة النوم .. وكان بها سرير عريض جداً من الخشب الوردى اللامع .. وأدرك الزوجان أن هذه غرفة (تريس) ..

ـ ليس بوسعنا أن نأخذ حجرتك ..

ـ سأنام فى حجرة المعيشة .. لقد صنعت هناك أريكة ضخمة تناسب حجمى المهول ..

وأدركت (جيل) بفطنتها الأنثوية أن هناك لمسة امرأة فى هذا البيت .. ولكن أين ذهبت ؟.. كان (تريس) موجودا فى كل ركن بصور سفنه وقطع عملاته ، لكن كانت هناك أيضا آثار امرأة ممثلة فى المفارش المطرزة بالزهور والسجاد اليدوى ..

ثم إنهم سمعوا صوت دقة على الباب ، فقال (تريس) :

ـ قد جاء العشاء !

وفتح الباب والتقط لفافة ورقية .. وعلى المنضدة

فتحها فرأيا بداخلها سمكة (براكودا) طولها متران تلتمع بالبلل ..

تقلصت أمعاء (جيل) إذ رأت السمكة وتساءلت :

ـ كنت أحسبها سامة ؟

قال (تريس) :

ـ إن هناك أكثر من ثلاثمائة نوع كلها سامة وكلها تفرز (النيوروتوكسين) .. وفى جزر (بهاما) يسلقون سمكة (البراكودا) مع قطعة من الفضة فإذا اسودت الفضة كان هذا دليلا على سمية السمكة .. لكننا متحضرون ولدينا أساليب علمية أفضل ..

ومد ذراعه الأيمن وقاس عليه طول السمكة .. وأردف ..

ـ إذا كانت السمكة أطول من ذراعك فإنها تؤذيك .. وكما تريان هذه السمكة أقصر من ذراعى فهى غير ضارة .. إن هذا ليس تخريفا .. الفكرة هنا أن الأسماك الكبيرة تحوى سماً ـ إذا كانت سامة ـ أكثر من الصغيرة .. ولئن كانت هذه السمكة الصغيرة سامة فسمها لن يحدث أكثر من مجرد مغص ..

ثم أخرج سكينا .. وشرع ينظف السمكة فى عناية وسرعة ..

سأله (ساندرز) عن مصدر هذه السمكة .. فقال (تريس) :

إنهم اعتادوا أن يحضروا له ما يزيد عن حاجتهم من الأسماك .. وذلك ديدنهم فى العناية بحارس الفنار ..

ثم طلب من (جيل) أن تقوم بتسخين الزيت .. وبدأ يضع شرائح السمك فى المقلاة ويتركها حتى تكتسب اللون الذهبى .. وكانت (جيل) قد أعدت بعض السلاطة فجلسوا يأكلون ..

ـ لا تخافى منها فهى غير سامة .. ولو كانت كذلك لعرفت فى الحال .. ـ قال (تريس) لـ (جيل) ـ لقد حدث أنهم نقلوا رجلا إلى المستشفى وقطعة السمك مازالت فى فمه !

وحين جاءت العاشرة مساء خلدوا للنوم ..

* * *

حين صحا (ساندرز) على نباح الكلبة حسب لوهلة أنه يحلم .. نظر إلى ميناء ساعته المضىء فوجد الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق .. ثمة ضوء خافت يتسرب من ستار النافذة ..

هز (جيل) لتصحو .. ففتحت عينيها وهمست :

ـ ما الخطب ؟

ـ لا أدرى .. ربما كان هذا حريقا ؟

ثم إنه هرع إلى الباب وفتحه فوجد (تريس) واقفا عند الباب الأمامى للمنزل عاريا إلا من سروال قصير .. وجواره تقف الكلبة متحفزة .. ووراء جسد (تريس) الضخم رأى (ساندرز) وهج المشاعل ووجوه بعض الزنوج .. ، وسمع صوته يتساءل :

ـ ماذا هنالك ؟

كانت يده ممتدة نحو بندقية كبيرة مستندة إلى ركن الباب ..

ورأى (ساندرز) رجلين متسربلين بالسواد يحملان مشعلين كبيرين وبينهما جاء (كلوش) فى حلة بيضاء ناصعة ..

وسمع (ساندرز) شيئا يطير .. وعلى بعد بوصات من رأس (تريس) رأى سهما رفيعا يهتز مرشوقا فى الخشب .. سهما رفيعا رماه أحدهم على سبيل الإنذار ..

قال (كلوش) فى تؤدة :

ـ إن أصدقاءك لم يتصرفوا بحكمة .. لقد اتصلوا بالسلطات رغم أننى أنذرتهم ألا يفعلوا ..

ـ وماذا تريد الآن ؟

ـ أنت تعرف ما أريد .. الأمبولات ..

دون أن يلتفت (تريس) إلى الوراء قال لـ (ساندرز) هامسا :

- اذهب إلى الباب الخلفى وتأكد ألا أحد هنالك ..

ثم عاد يخاطب (كلوش) :

- أنت تعرف السياح .. إنهم لا يكفون عن ...

عبر (ساندرز) المطبخ سريعا فى الظلام .. فتح أحد الأدراج وتحسس الموجودات حتى وجد ضالته : السكين .. شعر بالراحة حين دسه فى سرواله رغم علمه أنه واهم .. فهو لا يعرف كيف يحارب بسكين ..

فتح باب المطبخ فلم ير شيئا بالخارج .. ولم يسمع سوى صوت الرياح .. أحكم غلق الباب بالمفتاح ، ثم عاد إلى الردهة ليقف جوار (جيل) التى جاءت على قدميها الحافيتين لتسمع المحادثة ..

كان (تريس) يصيح :

- لن أتركك تحصل على هذه المخدرات !

قال (كلوش) :

- حسن جدًا .. بك أو بدونك فالنتيجة واحدة !

وبرز رجلان من الظلام يحملان قوسين .. وفى اللحظة التالية أفرغ (كلوش) على الأرض حقيبة بها ثلاث دمى قماشية غرس سهم فى صدر كل منها .. وأطلق الرجلان سهميهما ..

رمى (ساندرز) بـ (جيل) إلى الوراء .. أما (تريس) فقد وجد الوقت مناسبا ليخرج بندقيته ويطلق منها ثلاث قذائف دوت كالرعد فى الردهة .

وبعد ثانية لم يجدوا (كلوش) ولا رجاله .. بقيت شعلتان ملقيتان على الأرض .. لقد فروا حين رأوا البندقية وما كانوا يتوقعونها ..

فروا تاركين رسالتهم المروعة ..

* * *

وكانت ليلة رهيبة كما يمكن لك أن تتوقع ..

وفى الصباح خرج الزوجان إلى المطبخ ليجدا (تريس) جالسا يرشف الشاى ، وقد جلس أمامه (كيفن) وقد امتلأ فمه بالخبز .. وهتف (تريس) حين دخلا :

- هيه .. لقد سبق أن قابلتما (كيفن) ..

- بالطبع ..

لم يرد (كيفن) .. اكتفى بصب قدح من القهوة لنفسه ..

أخبر (تريس) (ساندرز) أنهم سيقومون بالغوص مستعملين بدلات الغوص المسماة (ديسكو) .. فهى مريحة ولا تحتاج إلى خزانات هواء . فالهواء يأتيها

عبر خرطوم قادم من فوق السطح .. والقناع على الوجه يسمح للابسه بالكلام والغناء إذا أراد .. المشكلة أنه لن يكون هناك وقت للتدريب عليه .. سيتدربان عليه أثناء العمل ، لأن (باسيل تابر) ـ تاجر الزجاج الذى زار الزوجين فى بداية المغامرة ـ قد حصل على معدات غوص كاملة هذا الصباح .. (كيفن) عرف هذا من الجمارك .. ومعنى هذا أن (كلوش) قد صار متأهبا للوصول إلى (المورفين) بجهوده الذاتية ..

وفى الحادية عشرة صباحا خرجوا بالقارب ..

كان على ظهره مكبس تخرج منه ثلاثة خراطيم صفراء متصلة بثلاث أقنعة للوجه والرأس .. وفى المقدمة وقف (تريس) ممسكا ببندقية ..

تساءل (ساندرز) :

ـ هل تظنهم قادمين ؟

ـ لا أدرى .. هل تجيد استعمال البندقية ؟.. إن (آدم) سيقوم بنوبة المراقبة الأولى .. وستكون طريقة الإنذار هى غلق المكبس .. إنها أسرع رسالة لمن تحت الماء أن شيئا ما خطأ يدور على السطح ..

وكانوا قد دنوا من شاطئ (أورانج جروف) .. وكان (آدم كوفين) واقفا ـ كالمومياء ـ فى المياه الضحلة جوار الشاطئ ينتظرهم .. فسرعان ما لحق بالقارب ..



وفى المقدمة وقف (تريس) ممسكًا بندقية ..

تسأل (ساندرز) : ـ هل تظنهم قادمين ؟..

وشرع (تريس) يشرح لـ (ساندرز) العملية المنتظرة :

ـ لسوف ترى شفاط الهواء إذ يعمل .. إنه يخلق نوعا من الفراغ يمتص الرمال من على القاع بسرعة لاتصدق .. وحين تظهر لك الأمبولات المدفونة عليك أن تستخرجها بمجرد أن تراها محاذرا أن يبتلع الشفاط أناملك .. لو أن الشفاط امتص الأمبولات ستتهشم فى الحال ..

ثم وجه كلامه إلى (جيل) :

ـ أما أنت فستجمعين الأمبولات التى يعطيكها (ساندرز) لتضعيها بدورك فى حقيبة قماشية .. لاتصعدى قبل أن تخبرينا .. إلا إذا ما حدث مكروه على السطح ، عندئذ سيتوقف سريان الهواء .. اصعدى بسرعة وتشبثى بمقدمة القارب .. لو كان هناك دخيل على ظهر السفينة فلن يراك .. يمكنك عندئذ أخذ بضعة شهقات ثم مواصلة الغطس ..

بدا التردد على (جيل) :

ـ الواقع أنا .. أنا خائفة من ارتداء هذا (الديسكو) ..

ـ لا مشكلة هنالك .. نحن نريد راحتك .. يمكنك ارتداء خزان هواء عادى .. هل ثمة شىء آخر ؟.. لو

بدأ هذا المكبس العمل فلن نسمع بعضنا البعض ..

لم يعترض أحد .. فأدار (تريس) المحرك .. وبدأ الزئير ..

ثم إنهم ارتدوا ثياب الغوص تباعا .. يحتاج الأمر هنا إلى تثبيت عشرة أرطال فى الحزام لتساعد على الغوص .. ولمن اعتاد الغوص بثياب عادية يشعر بكثير من الغرابة دون خزان هواء على ظهره ..

لكن للـ (ديسكو) مزايا لم يدركها (ساندرز) إلا حين وثب إلى الماء .. فمجال الرؤية أوسع يتيح له رؤية أنفه .. ، كما أن عدم وجود الخرطوم فى فيه مريح للغاية .. وحين نظر لأعلى رأى خرطوم المطاط الأصفر يتلوى فوقه كثعبان الماء .. وكان باستطاعته أن يقفو أثر خرطوم (تريس) نحو القاع ..

وعند فوهة الكهف وقف (تريس) ممسكا بأنبوب شفاط الهواء الألومنيوم تنبعث منه ضوضاء مروعة سمعوها حتى تحت الماء ..

وقفا بجواره على حين شرعت الرمال تختفى من القاع كأنها رماد سجائر تمتصه مكنسة كهربية بلا رحمة .. ومن الناحية الأخرى للأنبوب شرعت الرمال والحصى تخرج محدثة سحابة كثيفة ..

لقد صارت الحفرة أعمق .. وأعمق ..

ثمة أمبول يلتمع فى الضوء .. التقطه (ساندرز) وناوله لـ (جيل) ..

فجأة انهارت الرمال .. وتبدت عدة أمبولات تلتمع فى الضوء .. وبعد دقائق صار هناك حقل من الأمبولات اللامعة دستها (جيل) فى الحقيبة ثم أشارت لهما أنها ستصعد لأعلى لأن الحقيبة قد امتلأت ..

وعلى السطح ارتمت على بطنها لاهثة على حين شرع (كوفين) يفرغ الأمبولات من الحقيبة .. وسألها :

ـ هل رأيت مدى براعة (تريس) ؟

ـ هل استعمال الشفاط عسير إلى هذا الحد ؟

ـ إنه يهتز كعفريت .. لكن (تريس) يمسكه بيد ثابتة كطود لمدة خمس أو ست ساعات .. إن هذا الرجل يجد نفسه تحت الماء بعيدًا عن الزحام المجنون .. مائتان وستة وأربعون أمبولا.. مازال أمامكم الكثير ..

وضعت القناع على وجهها وانزلقت عائدة للماء ..

كانت الرؤية عسيرة بسبب سحابة الرمال ، لكنها تبينت زوجها و (تريس) مستمرين فى شفط الرمال .. وكانت سجادة من الأمبولات قد تبدت لعيونهم تحت صخرة كبيرة .. أحست (جيل) أن الأمر لا ينتهى ..

كلما تخلصت من طبقة ظهرت أخرى .. البرد يزحف إلى عظامها والحنين إلى ضوء الشمس يقتلها ..

وسرها أن شعرت بعسر تنفس مما يعنى أن خزان هوائها نفذ .. لمست (تريس) وحركت يدها على حلقها بحركة الذبح التى تعنى أن الخزان فارغ .. ثم صعدت إلى أعلى ..

وحين نزعت قناعها أحست أن فمها مشدود كأن طبيب أسنان ظل يعمل طويلا بين شفتيها .. وأحست أن الدم يسيل من أنفها ..

ـ هل أنت مرهقة ؟

سألها (كوفين) وهو يحضر خزانا آخر .. فقالت :

ـ ميتة !

ـ إذن سأهبط أنا .. لقد بدأ الملل يقتلنى ..

رفضت فى إصرار .. وبعد أن عرضت جسدها للشمس بدأت تتأهب لمواصلة الغطس .. وفى هذه المرة أعطاها (كوفين) ثلاث حقائب مربوطة بالحبال بحيث يمكنه رفعها إلى السطح عند امتلائها ..

وفى القاع وجدت جبلا صغيرا من الأمبولات ارتفاعه قدمان .. فشرعت تملأ الحقائب الثلاث .. ثم جذبت الحبال ثلاث مرات ليعرف (كوفين) أن عليه جذب الحقائب .

الصداع الشديد فى جبهتها .. الضغط على أذنيها ..

ثمة شىء رمادى يتحرك ما بين الصخور ..

حاولت أن تتبينه .. ثم رأته يخرج من خلف سحابة الرمال .. ينزلق من الضباب .. القرش ..

لم تستطع معرفة حجمه فلا يوجد ما تقارنه به .. لم تستطع معرفة بعده عنها .. فهو يتحرك على مرمى بصرها .. ولكن ما هو مرمى بصرها ؟

يدور فى حلقة واسعة حولها .. جلده رمادى مغطى بخطوط بنية .. عينه السوداء ترمقها دون اكتراث ..

دنت من (ساندرز) وحركت يدها اليمنى كأنها فك يفتح ويغلق .. نظر لقناعها .. إلى الدماء الخضراء التى تسيل من تحته ..

ورأى الخيوط تختلط بالمياه .....

* * *

- ١٠ -

أشارت (جيل) لأعلى طالبة الصعود ..

- لا !.. هز (ساندرز) رأسه فى حزم ليمنعها .. ثم واصل العمل ...

كان يكدس الأمبولات عشرا فى كل مرة ويدسها فى حقائب (جيل) . لكنه لم يستطع قط أن يلحق بسرعة (تريس) ..

وفجأة اقترب القرش إلى مسافة عشرة أقدام منهم .. طوله يدنو من السبعة أقدام كأنه طوربيد من العضلات .. ثم غاب بين سحابة الرمال ..

لم تعد (جيل) ذات نفع لهما لأنها ظلت راكعة على ركبتيها تتلفت حولها فى هلع مرتقبة عودة القرش ، وأهملت جمع الأمبولات تماما ..

ورآه هو أولا .. رآه قادما من اليمين نحو (جيل) ..

وفى هذه المرة كان رد فعله سريعا .. مد يده إلى ساقه وتناول الخنجر الذى كان يحمله لا يدرى لماذا .. واندفع إلى الأمام نحو القرش ..

يا لنعومة هذا الجسد !.. لقد غاص الخنجر حتى المقبض فى بطن القرش .. وما أن انتزع (ساندرز)

الخنجر حتى تدفقت الدماء الخضراء من الجرح فى سحابة ثخينة .. شرع القرش يبتعد وذيله يرتجف .. ثم انثنى ليطبق بفكه الرهيب على بطنه محاولا التهام نفسه كعادة القروش ..

وهنا شعر (ساندرز) بشىء يطبق على كاحله .. لم يكن قرشا بل شيئا أقوى جعله يهوى إلى الوراء معدوم المقاومة .. كان هذا هو (تريس) الذى التمعت عيناه غضبا خلف القناع .. لم ير الرجل حانقا إلى هذا الحد من قبل .. فما السبب يا ترى ؟

وأشار (تريس) إلى أعلى معطيا إشارة الصعود ..

وبدأوا الطفو .. جثة القرش تتلوى هنا وهناك حولهم ..

فما أن وصلوا إلى السطح حتى نزع (ساندرز) قناعه :

- ما الذى ...... ؟

- أحمق !! - دوى صراخ (تريس) المرعب - لم أر فى حياتى تصرفا أغبى من هذا ! .. هل تظن نفسك (طرزان) ؟!.. لقد أفسدت علينا عمل يوم كامل .. كان القرش يشعر بمجرد فضول ولم يكن ليهاجمنا .. القرش لا يهجم إلا إذا ارتعش جسده كله من الإثارة .. ولو

حدث هذا كنا سنكتفى بالاختفاء فى سحابة الرمال .. إن الرمال تسد خياشيم القروش وهذا يضايقها .. أما أن تطعنه بسكين فهو آخر شىء أحمق يمكن أن تلجأ إليه .. ارحمنى يا إلهى من الغباء والأغبياء !

ثم قذف له ولـ (جيل) بقناعى وجه وأضاف :

- إنزلا إلى الماء .. تعلقا بالمنصة وانظرا ما سببه هذا المخبول ..

صدع الزوجان بالأمر .. هبطا إلى الماء وتشبثا بمنصة الغطس .. وكان ما رأياه لا يصدق .. الأمر يبدو كحرب العصابات .. أعداد لا حصر لها من القروش من كل الأحجام تصطرع حول قطع ممزقة هى كل ما بقى من القرش الذى طعنه (ساندرز) .. والقروش الكبيرة تهاجم الصغيرة التى بدورها تتحول إلى هدف لمشاجرة أخرى ..

صعد (جيل) و (ساندرز) إلى السطح مذهولين ..

وكان (تريس) منهمكا بعد الأمبولات .. وسألهما دون أن ينظر نحوهما :

- هل رأيتما النتيجة ؟.. سيظلون هنا يأكلون بعضهم البعض لفترة طويلة جدا ..

قال (ساندرز) فى خزى :

- آسف جدا .. إن الجهل ....

- لا عليك .. على الأقل لهذه القروش مزية واحدة : إنها ستبقى المتطفلين بعيدا .. لقد حصلنا اليوم على ٨٧٠ أمبولا .. إن أمامنا يومين على الأكثر قبل أن يدبر (كلوش) شفاط هواء ويعلم رجاله كيف يستخدمونه ..

وبدأ القارب يتحرك مهتزا فوق الأمواج ..

- ما هو موعد البدء غدا ؟

- الثامنة صباحا .. سنعمل خمس ساعات ونستريح .. ثم نواصل العمل فى السادسة مساء ..

* * *

حين وصلوا إلى المرفأ كانت الشمس تلامس الأفق الغربى .. وأعلن (تريس) أن عليهم إخفاء الأمبولات فى كهف تحت الماء عند قاعدة الصخرة ..

قام و (ساندرز) بتجهيز خزانى هواء ثم حملا الأكياس معهما وأشار (تريس) إلى صندوق خشبى طالبا من (جيل) أن تجلب له سمكة مملحة من داخل الصندوق ..

- لأجل (بيرسى) .. إنه يعيش فى الكهف !

- وما هو (بيرسى) ؟

- إنه ثعبان (موراى) عملاق .. أخضر اللون يسكن هذا الكهف منذ زمن .. إن علاقتى به لا بأس بها لكنه جائع أبدا ..

التقطت (جيل) سمكة كبيرة محاولة تجاهل الرائحة الشنيعة وناولتها له .. ثم إن الرجلين نزلا الماء ..

وعند حافة الكهف ــ وعلى ضوء الكشاف ــ رأى (ساندرز) (تريس) واقفا يضىء داخل الكهف بالكشاف .. وتأمل (ساندرز) المكان فلم ير شيئا على بعد ثلاثين قدما ، لكن (تريس) أشار بإصبعه إلى نهاية الكهف .. كان هناك شىء يتحرك ..

دخل (تريس) الكهف ملوحا بالسمكة .. ورأى (ساندرز) رأس الثعبان يتلوى خارجا من بين الصخور .. فى حياته لم ير شيئا بهذا الحجم المروع ينظر بعينين باردتين كعينى الخنزير إليه .. وفى اللحظة التالية انفتح الفم عن أسنان كالإبر بينها خيوط لزجة تلتمع فى الضوء .. وفيما بعد لم يستطع (ساندرز) أن يتذكر متى انقض الوحش على السمكة ..

وفى الثانية التالية كان قد أخذها معه إلى جحره ..

وابتعد الرجلان .. وعند فوهة الكهف حفرا حفرة كبيرة دفنا فيها حقائب الأمبولات ثم غطياها بالرمال ..

وحين صعدا إلى السطح تساءل (ساندرز) عن طول هذا الثعبان ..

فقال (تريس) إنه لم يره كاملا قط وإنه لا يتمنى أن يراه خارج جحره أبدا ..

* * *

فى صباح اليوم التالى ؛ شرع القارب يهدر عائدًا إلى موقع الأمبولات طلبًا للمزيد ..

كان الجو عاصفا .. ولقد احتاج (تريس) إلى مهارة غير عادية كى يجتاز حزام الصخور متفاديًا إضافة حطام جديد إلى (أورانج جروف) ..

وفى هذه المرة تقرر أن ينزل العجوز (كوفين) الماء بدلًا من (جيل) لأن رأسها كان يؤلمها وأنفها ينزف منذ البارحة .. ، وألقى (تريس) هلب الميمنة فهلب الميسرة وترك تروس القارب غير معشقة .. فانزلق هذا إلى الوراء جاعلا الحبال مشدودة تمامًا ..

وقبل أن ينزلوا الماء ناول (تريس) البندقية لـ (جيل) كى تتولى الحراسة ..

بدا على المرأة أنها رأت ثعبانًا .. لكنه أصر على أن تأخذها وألا تضعها على كتفها عند الإطلاق ، لأن قوة ارتدادها عنيفة جدًا .. وقوة تدميرها أعنف ..

ـ لا أستطيع !

ـ إذا هاجمك أحد مخابيل (كلوش) بخنجر ستجدين أنك قادرة على كل شىء ..

ثم إن (تريس) أحضر أثقالا يربطونها فى أحزمتهم كى يهووا إلى القاع كالصخور وسط المياه الثائرة ..

كانت المياه هادئة نسبيًا فى القاع عن السطح ، لكنها كانت قوية إلى حد أن (ساندرز) أخذ يتأرجح أمامًا وخلفًا كقشة ..

واضطر أن يزحف على القاع غارسًا ركبتيه فى الرمال ..

وفى الساعة التالية قام (ساندرز) بست رحلات إلى السطح ، كان يشعر بالبرد والإنهاك وألم فوق حاجبيه ، لكنه واصل العمل .. ومرت ساعة أخرى ..

الآن يؤلمه كل جزء فى جسده .. كان الصعود عسيرًا والهبوط صعبًا .. لكن الأمبولات كانت قد تجاوزت العشرة آلاف ..

وهنا رأى شيئًا يلتمع داخل أحد تجاويف الصخر .. ما هذا ؟

أشار بيده لـ (كوفين) ثم إلى الصخرة .. فأشار هذا بدوره إلى (تريس) الذى ترك الشفاط وسبح نحو (ساندرز) وعلى وجهه تعبير يقول :



وحولها رأى ثعبان (موارى) يتلوى ، وقد قبض بفكيه على كف (تريس) ..

- ماذا هنالك ؟

أشار (ساندرز) إلى الكهف .. فنظر (تريس) بداخله وأومأ برأسه ثم مد يده داخل الكهف ..

فجأة توتر جسده .. فتح فاه خلف القناع صارخا فى هلع :

رآه (ساندرز) يجذب ذراعه .. وحولها رأى ثعبان (موراى) يتلوى ، وقد قبض بفكيه على كف (تريس) ..

حاول (تريس) تخليص كفه ، لكن الثعبان تملص ..

لف جسده على شكل عقدة حول ذراع (تريس) .. واستمرت الأنياب تنهش واللحم يتمزق .. ثم إن الثعبان ازدرد ما اقتطعه من لحم وانقض قاصدا خصر (تريس) ..

لكن (تريس) تملص .. اعتصر عنق الثعبان بين يديه ودفعه إلى الصخر وهشم رأسه .. انتفض الجسد مرتين ، ثم تهالك على الرمال ..

أشار (تريس) نحو (ساندرز) كى يمد يده فى الكهف بحثا عن الشىء الذى كان يلتمع ..

هز (ساندرز) رأسه أن لا .. أتظننى مجنونا ؟..

لكن (تريس) كان قاطعا .. من ثم مد (ساندرز) يده

داخل الكهف متوقعا فى أية لحظة أن يشعر بالأنياب تطبق على ذراعه .. وأخيرا اصطدم كفه بشىء صلب فأطبق عليه وأخرجه .. كان يمثل تمثالا من الذهب للسيد المسيح ، وقد حفر على قاعدة التمثال الحرفان المعهودان (أ . ف) ..

صعد الثلاثة إلى السطح ، وجلس (تريس) تاركا كفه المجروح لـ (كوفين) يضمده ..

- هل إصابتك بالغة ؟

- لا .. حمدا لله .. مشكلة وحوش البحر هذه هى تلوث الجروح ، ولكن انس الأمر .. ماذا وجدت ؟..

يا إلهى !.. إنها تحفة فنية !..

انظرى إلى أظافر اليدين والقدمين .. صنعت من الزمرد الأخضر .. هو لون محاكم التفتيش .. الزمرد الذى كان الأسبان يحبونه .. إن صديقنا (أ . ف) كان فاحش الثراء أو عزيزا لدى من هو فاحش الثراء .. ثم نظر إلى كفه المضمدة وقال لـ (ساندرز) باسمًا :

- لم تعد أنت المعتوه الوحيد .. فلو كان (بيرسى) هو ساكن الكهف لابتلعنى حتى العنق .. والآن هيا بنا .. سنأخذ إجازة حتى السابعة مساء ..

- هل ستغطس بهذا الجرح ؟

- طالما ظلت يدى قادرة على الإمساك بالشفاط فلا مشكلة هنالك .. والآن سنوصلك يا (كوفين) ويمكنك أن تستريح .. سأحضر (كيفين) لمساعدتنا ..

- هل تثق فيه ؟

- إنه خليق بانتزاع الأسنان الذهبية من أفواه الموتى لكنه مخلص لى ..

وأوصلوا (كوفين) إلى بقعة ضحلة من الماء ثم عادوا إلى مرفأ (تريس) الخاص ..

تناولوا الغذاء .. وعند العصر جاء (كيفين) بوجهه الكئيب الذى يعكس كراهيته المطلقة للبشر وللخير .. ، وذهبوا معًا إلى المكان الذى يخفون فيه الأمبولات تحت الماء .. طبعًا بعد أن أخذوا السمكة إياها هدية ثعبان البحر (بيرسى) ..

استغرق إخفاء الأمبولات ساعتين .. حتى كاد (ساندرز) يقضى جوعًا وبردًا .. لكن (كيفين) البدين الذى لم يكن يرتدى سوى لباس العوم لم يبد متأثرًا ببرودة الماء أو جهد العمل .. لم يكن ينبس ببنت شفة .. يصعد ويهبط دون كلل ..

- كنت أظنه يكره الماء ..

- إنه يكرهه .. لكن إذا أوكلت إليه عملا فإنه يؤديه

كالآلة .. لا يتوقف دون أن ينهيه .. كما إنه بدين كالخنزير فلا يشعر بالبرد ..

- وكم ستدفع له ؟

- سيطلب مائة دولار وسأعرض عليه عشرين ثم نتفق على خمسين !

كان الإنهاك باديا على (ساندرز) وكل جسده يرتجف .. لهذا أخذ منه (تريس) ثوب الغطس ونصحه بالعودة إلى البيت كى يستريح ويأخذ حماما ..

وقد فعل .. فما أن خرج من الحمام حتى وجد (تريس) جالسا على منضدة المطبخ يتأمل التمثال الذهبى ..

فسأله (ساندرز) :

- هل يساوى كثيرا ؟

- إذا أمكننا بيعه فلن يقل ثمنه عن مائة ألف دولار !

- يا للهول !

- إن اليهود الهولنديين صناع مهرة حقًا .. لم يكن باستطاعة الأسبان ولا الهنود أن يصنعوا شيئا بهذه الدقة .. المشكلة هى أن نعرف من هو (أ . ف) هذا .. لابد من معرفة أصل هذا التمثال ..

ثم إنه تثاءب ونصح (ساندرز) بأن يذهب لينام قليلا قبل أن تجىء السادسة مساء ..

هو كذلك .. غاص فى الفراش جوار (جيل) وخطر له أن يهزها قليلا لأنها تغط فى نومها بصوت مسموووو .....

ولم يشعر بعد ذلك سوى بيد (تريس) تهزه أن الوقت قد حان لاستئناف البحث ..

كانت الريح قد هدأت نوعا فى هذه المرة ..

الأضواء فى (أورانج جروف) تلتمع ساعة الغسق . والشمس الغاربة تلون الأفق بلون وردى شاحب ..

لكن (كوفين) لم يكن بانتظارهم ..

- أين هو ؟

- حتما سيحضر ..

لكن الانتظار طال .. كلما مرت بضع دقائق قام (تريس) بإعادة تشغيل المحرك كى لا يجنح القارب على الصخور ..

وفى السابعة والربع أدركوا أن (كوفين) لن يجىء ..

عرض (ساندرز) أن يذهب ليرى سبب تأخره .. نزل إلى الماء الضحل وخاض فيه بقدميه ..

صوت ارتطام الأمواج وهمسات الريح بين الشجيرات ، وضوء القمر الفضى المصفر .. تعثر فى شىء ما فسقط على ركبتيه .. شم رائحة كريهة كالبراز ، ثم لمست أصابعه شيئا باردا ..

هذا ذراع .. شهق رعبا .. نظر للأمام .. كانت عينا (كوفين) الباردتان تحدقان — دون أن تريا — فى السماء .. وثمة دماء لزجة على ركن فيه ..

هرع راكضا إلى الشاطئ .. وشرع يتعثر فى الماء كالمسعور وهو يصرخ :

ـ لقد مات !

سأله (تريس) وهو يعتصر ذراعه :

ـ متأكد ؟

ـ حتما .. لقد قذفوا به من أعلى الصخرة ..

ـ الملاعين !

أخذت (جيل) ترتجف كالورقة منتحبة .. ومن بين شفتيها هتفت :

ـ أريد الرحيل من هنا .. الآن !

قال (تريس) وهو يحدق فى الصخور :

ـ لا يمكن لأحد الرحيل الآن .. إن معنى هذا أن (كلوش) صار مستعدًا بغواصيه .. لم يعد بحاجة إلينا الآن ..

كنت أظن أن وقتنا ضيق ، لكنى الآن أعرف أننا لا نملك وقتا على الإطلاق ..

وبدأ محرك القارب دون تردد ..

* * *

ـ ١١ ـ

قالت (جيل) وهما يتأهبان للغوص :

ـ سأنزل معكما .. لا أريد بحال أن أظل هنا وحدى ..

قال (تريس) فى شرود :

ـ هذا غير مستحب أن نترك سطح القارب دون حراسة .. إن (شارلوت) الكلبة لا تجيد استعمال البندقية .. ولكن .. ليكن .. ربما لا يحاول شيئا جديدا هذه الليلة ..

وارتدوا ثياب الغطس ووثبوا إلى الماء ..

تبعتهما (جيل) وهى تتساءل عن سر المذاق الحلو الخفيف .. الذى تجده فى الهواء الذى تتنفسه ..

كان (تريس) و (ساندرز) يعملان كما سبق فى الكشف عن أمبولات أخرى على ضوء كشاف يمسكه (ساندرز) ..

لم تكن تشعر بتوتر بل باسترخاء غير عادى .. استلقت على بطنها وشرعت تحدق فى حفرة الرمال أمامها .. كأنها تحلم .. لم تحاول تسليط كشافها على الرجلين ، بل شرعت تتسلى بمراقبة سمكتين صفراوين تسبحان جوارها ..

يا له من شعور جميل !.. الدفء والراحة فى المياه السوداء ..

وكان (تريس) هو أول من لاحظ أن شيئا ما ليس على ما يرام .. نظر نحوها .. ثم وثب إليها .. انتزع الكشاف من يدها وسلطه عليها .. كانت عيناها مغمضتين ورأسها يتأرجح فى استرخاء ..

انتزع خرطوم الهواء من فمها ثم وضع رأسها فى قناع الـ (ديسكو) الخاص به . ودفن ركبته فى بطنها ..

ولم ير (ساندرز) ما حدث .. فقط وجد (تريس) يحمل (جيل) إلى السطح .. وحين لحق بهما وجد أنها ممددة على منصة الغوص ، فى حين شرع (تريس) يحاول إرغامها على القىء .. وسمع صوت حشرجة وصوت شهيق ..

ثم إن (تريس) تشمم الهواء الخارج من خزان الهواء الخاص بها وغمغم :

ـ الأوغاد !.. كانت ستقضى وقتا طيبا مع الملائكة .. هناك من ملأ خزان الهواء بأول أوكسيد الكربون !

ـ كانوا يريدون قتلها ؟!

ـ هى أو أنت أو أنا .. لا يهمهم ذلك كثيرا ..

* * *

حين عادت (جيل) إلى رشدها سألت (تريس) :

ـ ماذا ستفعله مع جثة (آدم) ؟.. هل ستبلغ الشرطة ؟

حك (تريس) رأسه فى إرهاق وقال :

ـ انسى كل شىء عن الشرطة والقانون والنظام .. لن يساعدنا أحد .. ولئن عشنا فالفضل لنا أو متنا فالخطأ خطؤنا .. غدا سيجد أحدهم (آدم) ولسوف يبلغ الشرطة .. وسيأتون بكل همة ونشاط ويملأون أوراقهم .. ولن يصلوا لشىء ، نفس الشىء سيحدث لو أبلغناهم فيما عدا أننا سنمضى أياما نجيب على أسئلتهم الغبية .. إن الشرطة مضيعة للوقت يا صغيرتى ..

واستعد الرجلان للوثب إلى الماء .. ثم وثبا .. فثارت سحابة رمال لم يتخللها سوى ضوء كشافيهما ..

وجلست (جيل) عند مقدمة القارب ممسكة البندقية .. كانت تكرهها لكنها أشعرتها بالأمان ، وشرعت تتخيل عينى (كوفين) الخاليتين من الحياة حيث رقد على الرمال ميتا فى هذه اللحظة بعينها ..

وبعد دقائق صعد (ساندرز) وناولها حقيبة ملأى ..

كانت الحادية عشرة مساء والمزيد من الأمبولات يظهر للرجلين .. العمل بطىء بسبب عدم وجود يد ثالثة ..

وفجأة رأى (تريس) بريقا ما بين الرمال .. فشرع يزيحها جانبا ليرى أفضل .. كان هناك تمثال من الذهب على شكل ثمرة أناناس مزدانة باللآلئ .. تفحصها برفق ثم دسها فى حقيبة (ساندرز) ..

بعد ثوان وجد شيئا آخر .. سلسلة من الذهب طولها ثمانية أقدام .. وفى نهايتها الحرفان (أ . ف) ..

هذه المرة لم يعد ممكنا مواصلة العمل .. صعدا إلى سطح القارب ورفعا خراطيم الهواء على حين أخذت (جيل) تتفحص ما وجداه فى اهتمام ..

ظل (تريس) صامتا .. لم ينبس ببنت شفة حتى حين وصلوا إلى المنزل فى الواحدة صباحا .. ظلّ على منضدة المطبخ يتأمل ما وجدوه ويحسو الشراب .. ولم يردّ تحية المساء التى ألقياها ..

وفى الرابعة صباحًا عرف من هو (أ . ف) ..

* * *

وحين صحا (ساندرز) و (جيل) ودخلا إلى المطبخ ، أدركا من عينيه المنتفختين أنه لم ينم طيلة الليل ..

سألها عما إذا كانت نامت جيدا ، فقالت باسمة :

ـ لم يحاول أحد قتلى فى الفراش .. وأنا لذلك سعيدة !

نظر لها ولـ (ساندرز) .. ثم قال بلهجة منتصرة :

ـ لقد عرفت من هو (أ . ف) !

ثم أردف إزاء صمتهما :

ـ إن ما يوجد فى القاع لهو كنز لم يعثر عليه أحد قط .. كنز ظلوا يبحثون عنه مائتين وستين عاما .. حطام (الجريفون) ..

فى عام ١٧١٤ ماتت زوجة (فيليب الخامس) وتعلق قلبه بدوقة (بارما) .. لكن المرأة اشترطت عليه أن يغمرها بالجواهر .. وقد كان ..

أرسل إلى (هافانا) طالبًا قائمة طولها صفحات ثلاث من الحلى الثمينة ترسل إلى (أسبانيا) .. وحملها رجل من (هافانا) فلم يعرف بأمرها سواه والربان .. ثم غرقت السفن ونجا الربان .. لهذا اتفق مع الرجل على اقتسام الكنز والإدعاء أن الكنز غرق على إحدى السفن المختفية .. ويبدأ الربان رحلة العودة حاملا كنزه ، لكن سفينته تحطمت فوق صخور (برمودا) ولم يعرف التاريخ أن السفينة تحمل كنزًا ..

والآن ماذا كان اسم دوقة (بارما) ؟

كان اسمها (اليزابيتا فارنيس) .. هل تذكركم الحروف الأولى من اسمها بشىء ما ؟!

تبادل (ساندرز) و (جيل) النظرات .. لكن الذهول منع السعادة من زيارة وجهيهما ..

قال (تريس) :

- لقد صارت مهمتنا الأولى الآن هى استخراج الكنز .. فلا جدوى من محاولة إخراج كل الأمبولات قبل أن يتحرك (كلوش) .. لن أترك هذا الكنز لـ (كلوش) ليقوم بصهره وبيع الذهب بالجرام .. من الجرم تركه لمن لا يعرف قيمته .. سنترك ما تبقى من الأمبولات له ..

ثم إنه لف المجوهرات فى قطعة من القطيفة وأخفاها فى غرفة سرية تحت الأرضية أصرّ على أن يعرفا كيفية فتحها والنزول إليها ..

وفى الحادية عشرة صباحًا وصلوا عند الصخور ..

وتفقد (ساندرز) الشاطئ بنظارة معظمة فلم يجد أثرًا لجثة (كوفين) ..

قال (تريس) وهو يلقى الهلب :

- لقد رفعوه من أجل السياحة .. إن من يدفعون مائة دولار فى اليوم لا يفعلون ذلك لأنهم يعشقون الجثث المنتنة ..

ثم إنه ناول (جيل) البندقية وطلب منها البقاء على السطح ..

كان يشعر بأن هناك ما سيحدث اليوم بالذات .. وكرر على مسمعها التعليمات الخاصة بإيقاف المكبس لو حدث ما يريب ..

- لو لم يحدث شىء فعلى الأقل ستكتسب بشرتك لونا برونزيًا .. ووثبا إلى الماء ..

كانت الرمال قد انزاحت كاشفة عن أمبولات متفرقة .. لكن (تريس) أشار لـ (ساندرز) كى لا يجمعها ويدعها وشأنها .. وأخذ يزيح الرمال بالشفاط ببراعة لا توصف ..

بعد دقائق ظهرت زهرة من الذهب المطعم بالزمرد ..

ثم رأى (تريس) شيئًا ذهبيًا يلتمع ، فجرف الرمال عنه بيده .. كانت حرباء من الذهب يتصل ذيلها بسلسلة طولها عشرة أقدام .. وفى فم الحرباء نفخ (تريس) (أى أنه تظاهر بالنفخ) ليشرح لـ (ساندرز) أنها صفارة ..

ومرت أربع ساعات .. الحصيلة : أربعة خواتم ذهبية .. سلسلة بها لؤلؤتان كبيرتان .. وقرطان من الزمرد .. وحبل من الذهب المجدول تشبث بقوة ما بين صخرتين فلم يقدر (ساندرز) على انتزاعه رغم جهوده ..

شرع (تريس) يهوى على الصخر بقاعدة الشفاط محاولا تحطيمه حتى يتسنى لهما انتزاع السلسلة ..

* * *

فى الوقت ذاته أحست (جيل) أنها توشك على الاحتراق حية فى أشعة الشمس .. لم لا تنزل عن السطح تاركة للكلبة (شارلوت) مهمة المراقبة ؟.. إنها حتمًا ستحدث ضوضاء لا بأس بها إذا ما رأت أحدًا ..

* * *

لا صوت تحت الماء سوى شهيق الرجلين وأزيز المكبس .. وحركة أطراف الأنامل فى الرمال .. كأنما يعملان فى شرنقة ..

* * *

الكلبة تنبح .. صوت محرك يقترب .. أجفلت (جيل) .. أمكنها أن تسمع صوت رجلين يتكلمان :

ـ لا يوجد أحد ..

ـ نعم ما عدا الكلبة .. هاى !.. كفى عن النباح يالعينة !

دقات قلبها تتواثب .. فتحت فاها تعبّ الهواء .. ثم ارتقت السلم إلى السطح منحنية .. إن البندقية هناك على الرف جوار الدفة .. لن تستطيع أبدًا .. صوت الرجلين :

ـ كم خرطوما تخرج من هذا الشىء ؟

ـ اثنان .. وثمة واحد للشفاط ..

مدت يدها وأمسكت مؤخرة البندقية .. كانت ثقيلة حقًا عند حملها بهذه الطريقة .. القارب يدنو أكثر .. صوت مجداف .. صوت عواء الكلبة .. ثم صوت شىء ينطلق من بندقية .. ثم سكون ..

الآن تراهما .. الرجل فى مؤخرة القارب الآخر واضح لها الآن .. أثر الجرح على صدره الأسمر .. إنه (سليك) الساقى .. وفجأة نظر لأعلى فالتقت عيناهما ..

نظرة سرور على وجهه .. هاهوذا يرفع البندقية .. يصوبها نحوها .. ثم رمح من الصلب ينطلق ليرشق على بعد ست بوصات من عنقها ..

عندئذ ضغطت الزناد ..

الدوى المروع .. (سليك) يتأرجح وفى صدره ثقب فى حجم كرة ينزّ الدم .. يداه تمسكان بصدره ثم يهوى ..

وفى خطوات ثابتة هرعت إلى المكبس فأوقفت عمله ..

* * *

كان (ساندرز) قد دسّ السلسلة فى صدر ردائه حين



وحين دقق البصر أكثر فهم أن (تريس) يرفع الرجل إلى السطح بسرعة ..

شعر بشيء ما مختلف .. ماذا حدث ؟.. هناك شيء ناقص .. آه !.. المكبس .. لقد توقف عن العمل .. ونظر نحو (تريس) فرأى شبحا ينقض عليه وفي يده سكين .. ورأى خرطوم (تريس) يتمزق .. ثم إن الرجلين التحما وارتفعا إلى أعلى ..

وحين دقق البصر أكثر فهم أن (تريس) يرفع الرجل إلى السطح بسرعة ، لكنه كان قد انتزع خرطوم هواء المهاجم .. بل وكان قد سدّ أنفه وفمه بيده ليمنعه من إخراج الزفير !..

إن الهواء المحبوس في الرئتين يتمدّد عند الصعود للسطح .. وما لم تتم عملية الزفير فإن هذا الهواء يمزق الرئة ..

إن (تريس) يقتل خصمه بطريقة شنيعة .. فهل سيتألم الرجل أم سيفقد وعيه قبلها ؟

(ساندرز) يلحق بهما نحو السطح متوجسا .. فماذا ينتظره على السطح الآن ؟..

وفجأة شعر بشيء يجذب الخرطوم .. نظر للخلف فرأى رجلا يجذبه من الخرطوم وهو يمسك ببندقية (حربون) .. الأكسجين !.. رأسه تنبض .. لا وقت كي .. حاول أن يتملص .. لكن الرجل أحكم تصويب البندقية

بعينين باردتين على مقتله .. ثم رأى (ساندرز) الرمح آتيا نحوه .. انتهى الأمر !

انتظر الألم لكن الرمح اصطدم بصدره ولم يؤذه ..

وسرعان ما فقد (ساندرز) رشده ..

* * *

على السطح فتح عينيه ليجد أن (جيل) تحتضن وجهه برفق ..

وكان (تريس) يرمقه باسمًا :

- مرحبًا بعودتك ..

- هل .. هل غرقت ؟

- كدت .. ولحسن الحظ أنك كنت تحمل سلسلة الذهب فى صدرك فلم يخترقه الرمح ..

كان المعتدون ثلاثة .. أحدهم قتلته (جيل) والآخر خنقه (تريس) تحت الماء بعد ما هاجم (ساندرز) .. أما الثالث فهنا ..

فى ذهول نظر (ساندرز) إلى (جيل) :

- أنت قتلت رجلا ؟

- لم يكن لدىّ الخيار ..

ثم إن (تريس) استعد للعودة إلى الماء ليجلب الشفاط ..

قال لـ (ساندرز) أن يراقب ذلك الرجل المخنوق الذى تمزقت رئتاه .. فهو ميت لكن الحذر يقضى بتصويب البندقية عليه ..

- ألن تشغل المكبس ؟

- لا .. إذا لم أكن أستطيع النزول والصعود فى نفس واحد ، فأنا غير جدير بعملى ..

ووثب (تريس) إلى الماء على حين تعاون الزوجان على جرّ الجثة إلى السطح .. كانت ثقيلة كديدن الجثث .. وجلسا على حافة القارب .. القمر يتسلق الأفق .. وملامحهما صارت عسيرة التبين فى الظلام ..

لهذا لم يريا الرجفة التى بدأت تغزو ساقى الجثة .. لم يريا انفتاح العينين .. وبالتأكيد لم يريا حركة الأصابع العصبية نحو السكين المربوط فى الساق ..

وفجأة رأيا الرجل يقف كالكابوس صارخًا .. ووثب نحوهما ..

ضغط (ساندرز) الزناد فلم يحدث شىء !.. كان ضوء القمر يلتمع على وجهه المتوحش .. أحس (ساندرز) بألم فى ذراعه .. ثم سقط على ظهره فى الماء ..

(جيل) الآن وحدها معه .. ربما لو وثبت فى الماء

بسرعة .. ولكن لا .. لن يتسع الوقت لذلك .. ربما لو ...

فجأة سمعت صوت ضربة .. ابيضت عينا الرجل ثم هوى أرضا ..

وهناك وجدت (ساندرز) يقف خلفه ممسكا بمفتاح انجليزى ثقيل ملوث بالشعر والدماء ..

وصعد (تريس) إلى السطح .. ففهم على الفور ما حدث .. تحسس عنق الرجل ثم غمغم :

- انتهى ..

ثم نزل إلى أسفل القارب فأخذ حبلا وربط طرفه فى رقبته - رقبة القتيل - ثم ربط طرفه الآخر إلى وتد فى المقدمة ..

- ماذا تفعل ؟

تساءلت (جيل) فلم يرد (تريس) .. أمسك بسكين شق بها بطن الجثة ، ثم ألقى بها فى الماء !..

- ماذا تفعله ؟!

- أطعم به القروش !

- ولماذا ؟

- كتحذير .. إن (كلوش) يقنع رجاله أنهم شهداء وأن مآلهم الجنة .. لكنهم يؤمنون أنهم لن يصلوا إلى

الجنة إلا بأجساد سليمة .. وحين يرون ما سيبقى من جثة هذا الحيوان سيدب الذعر فى قلوبهم ..

وسمعوا صوت شىء يصطدم بجانب القارب ، فنظر (ساندرز) إلى هناك ليرى زبدا أبيض يملأ الماء جوار القارب ..

شعر بالغثيان وبالحموضة ترتفع إلى حلقه ..

لقد كان المشهد لا يوصف ..

ورأى رأس قرش بحجم غطاء المرحاض تهتز من جانب لآخر وهى تنتزع قطعة لحم من الجسد الذى كان حيًا منذ دقائق ..

لم تر (جيل) المشهد لحسن الحظ .. نظرت للظلام وهمست :

- لقد ساد السكون ..

قال (تريس) :

- نعم .. السكون أغنية الموت ..

....

* * *

- ١٢ -

سارت (جيل) خلف زوجها و (تريس) شاعرة بالرعب من التغير الذى طرأ على (ساندرز) .. كانا يتحدثان عن القتل كأنه أمر عادى يحدث كل يوم ..

كان (تريس) يقول بصوت عال :

- ثمة طرق عدة لاستعمال السكين .. إن بها ثلاثة عناصر : الطرف المدبب ، والجزء الحاد من النصل ، والجزء غير الحاد .. إن الأمر يتوقف على ما تريد عمله بالشخص ..

وسمعت (ساندرز) يقول :

- ولكن قد يكون فى إمكانه أن ......

- ليس إذا غمدت السكين حتى نصلها .. عندئذ لن ...

صرخت (جيل) بصوت عال :

- كفى !

كان الجرح فى ذراع (ساندرز) قد كف عن النزف تاركا بقعة من الدماء الجافة على ثوبه .. ونصحه (تريس) أن يضع مزيجا ما من أعشاب كانت جدته تضعه على الجرح .. ، ثم اتجه إلى الخزينة فأخرج منها قالبا من شىء يشبه الصلصال .. ونصفا سفليا

لزجاجة شراب .. وجهاز توقيت .. وصندوقا من ورق مقوى ..

ثم شرع يقطع قطعا صغيرة من الصلصال يضعها فى قاعدة الزجاجة ..

فتساءل (ساندرز) عن كنهها ..

قال (تريس) :

- اسمها س - ٤ - .. وهى بلاستيك متفجر .. نستعمله عادة فى رفع الحطام .. تنظيف الموانى .. لكننا هذه المرة سنستعملها فى تدمير المخدرات إلى الأبد ..

- بهذه المادة ؟

- ليس بها وحدها .. لكن إذا وضعتها ما بين متفجرات أخرى فإنك تحصل على جهنم التى تريدها ..

ثم بدأ يوصل الأسلاك إلى العبوة الناسفة .. سيضبط جهاز التوقيت إلى ما بعد خمس دقائق ثم يبتعد عن المكان عدة ياردات بانتظار الانفجار ..

وفجأة نبحت الكلبة معلنة قدوم شىء ما ..

أصاخ (تريس) السمع .. ثم هتف :

- ثمة قارب !

وفتح درجا انتقى منه سكينا طويلا ناوله لـ (ساندرز) :

- تذكر ما قلت لك .. هذا السكين قادر على سلخ تمساح ..

ثم ناول (جيل) شاطورا من على مشجب .. تراجعت .. لكنه أصر قائلا : إنها صارت تعرف كيف تقتل الآن ..

وحمل معه كشافا .. ثم خرج مع الزوجين بين الشجيرات تحت ضياء القمر ..

استطاعوا أن يروا قاربا يقف عند فتحة الكهف الذى أخفوا فيه الأمبولات .. كان هذا (كلوش) !..

تسلل (تريس) مع (ساندرز) بين الأشجار مقتربين أكثر .. كان (ساندرز) يشعر بشىء غريب .. كطفل صغير يشعر بالخوف الممزوج بالإثارة ، لكنه مطمئن لأن أباه معه .. (تريس) كان معه ..

وفجأة شعر بشىء يثب عليه من الخلف .. أحس بكيان ضخم يجثم فوقه ويثبته أرضا ..

حاول طعنه بالسكين لكن ركبة المهاجم دفعت بمعصمه إلى الأرض تاركة إياه معدوم الحيلة ..

وفجأة سقط مهاجمه أرضا .. وسمع صوت (تريس) يهمس فى كراهية ومرارة :

- (كيفين) !

كان (كيفين) هناك مستلقيا على ظهره ، وقد جثم (تريس) على صدره وثبت نصل خنجره على وريد رقبته .. وكان (تريس) يهمس فى مرارة :

- أنت أخبرت (كلوش) بمكان الكهف !.. لماذا ؟ تتخلى عن صديق عمرك وابن عمك من أجل المال ؟

لكن (كيفين) ظل يرمقه صامتا دون تعبير على وجهه ..

وفى اللحظة التالية جذب (تريس) النصل سريعا .. ثم أغلق عينيه ...

وبعد لحظات عاد إلى رشده ، فنهض من فوق الجثة الذبيحة وتأمل الموقف .. كان هناك اثنان أو ثلاثة من الغواصين يستعدون للغطس فوق قارب (كلوش) .. سيحاولون إخراج الأمبولات من الكهف .. لكنه لن يتركهم يحصلون عليها .. سينزل إلى الماء مع (ساندرز) ويحاولان القضاء عليهم ..

- حاول أن تقطع خرطوم الهواء عنهم - قال لـ (ساندرز) .. ثم ابتعد سريعا عن الرجل الذى تقطع خرطوم هوائه ، لأن الرجل الذى يفاجأ بهذا يغدو خطيرا ..

- ولكنهم سيصعدون لأعلى على الفور ..

- لا أخالهم على هذا القدر من المهارة .. سيعجزون عن حبس أنفاسهم أثناء الصعود ، أو سيضلون طريقهم داخل الكهف ..

وسمعوا صوت الرجال .. كانوا يتساءلون عن مكان (كيفين) الذى اختفى دون سابق إنذار ..

تسلل (تريس) و (ساندرز) إلى قارب (تريس) المتوقف هناك ورقدا على السطح .. ثم شرعا يزحفان محاولين سرقة خزان هواء وزعانف وقناع ..

ثم غطسا فى الماء وقد أمسك كل منهما يد الآخر باحثين عن أضواء الغطاسين ..

* * *

كان الكهف مضاء كخشبة المسرح فى قاعة مظلمة .. أضواء الكشافات العملاقة تنير المكان ..

ومن الكهف خرج غواص يحمل حقيبة ملأى بالأمبولات ..

دنا (تريس) و (ساندرز) من الكهف خارج دائرة الضوء ..

ثم أن (تريس) استلقى على بطنه وشرع يزحف على الرمال مقتربا أكثر .. وأشار لـ (ساندرز) كى يقف عند الجهة الأخرى من المدخل .. والتصق كلاهما بالصخر ..

حركة الماء والرمال .. ثمة شىء قادم ..

رفع (تريس) سكينة منتظرا .. وبعد ثانية خرج رجل من الكهف .. عندئذ وثب (تريس) نحوه وبنصل سكينه انتزع خرطوم الهواء من فيه وقطعه ..

وهنا ظهر رجل آخر فوثب (ساندرز) عليه .. لكن الرجل كان متنبها .. التحم بـ (ساندرز) وأسقطه فوق الرمال ..

سقط السكين من يد (ساندرز) .. كلا الرجلين يحاول انتزاع خرطوم الآخر ..

اندفعا فى صراعهما داخل الكهف .. (ساندرز) يحاول آملا فى أن يخف (تريس) لعونه .. الرجل قوى ..

أصبح الرجلان كتلة من الأذرع والسيقان المتلاحمة ..

وفجأة رأى (ساندرز) الفتحة فى حائط الكهف .. وتذكر ..

أمسك بالرجل باستماتة حتى نجح فى تقريب رأسه من الفتحة .. وهنا .. برزت عينا الخنزير فى الرأس الأخضر العملاق .. ثم عنق (بيرسى) ثعبان (الموراى) الهائل ..

وفى لحظة كان عنق الرجل بين أسنان الثعبان .. انفجرت الدماء منه وارتسمت على وجه الرجل أفظع امارات الفزع والرعب ..

خطر لـ (ساندرز) أن يطعنه .. لكن ما الداعى ؟.. إن عنق الرجل كله بين أنياب الثعبان ..

خرج من الكهف فوجد (تريس) مازال ينتظر ..

أشار له (تريس) نحو السطح فتبعه (ساندرز) ..

وفجأة أحس بساقين تلتفان حول خصره .. نظر للوراء .. شهق .. فوجد أن ما يأتيه من الخرطوم ليس هواء .. إنه ماء .. لقد قطعوا خرطوم هوائه .. ثم تركته الساقان ..

ضغط على أسنانه وصعد إلى السطح سريعا وأخذ شهيقا ..

كان الضوء يغمر السطح .. وسمع صوت طلقة رصاص أزت جوار أذنه .. غطس ثانية .. ثم عام بعيدًا عن الضوء .. وصعد ثانية إلى السطح وتنفس بحرية ..

أحس بيد تمسك بمقدمه فاستعد للنضال برغم أنه غير قادر عليه .. لكن هذا كان (تريس) .. الذى قاده فى سكون نحو الشاطئ ..

وحين لحقا بـ(جيل) أشار لها (تريس) أن تلحق بهما فورا ..

* * *

منذ اللحظة غدا السباق مروعا ..

أعد (تريس) المتفجر الذى قرر أن ينسف به بقايا (جوليات) فورا ..

لقد كان قارب (كلوش) قد ترك المكان إلى هناك ..

أخذ الثلاثة سيارة (كيفين) قاصدين (أورانج جروف) .. حاول (تريس) أن يمنع (جيل) من الغطس لكنها كانت مصرة .. إنها حياتها وهى وحدها تملكها .. وهى لم ترغب قط فى انتظارهم وحيدة ..

وصلوا بالقارب إلى حطام (جوليات) .. فارتدى (تريس) ثياب الغطس وحمل العبوة على كتفه .. وقال :

- سأنزل لأضع العبوة فى الحطام .. ثم أصعد حتى إذا رأينا (كلوش) قادما نزلت ثانية لأضبط جهاز التوقيت ..

ثم هز إصبعه محذرا (ساندرز) :

- نصيحة .. لو رأيت ما يريب عليك مغادرة المكان ، ولا تحاول لعب دور المنقذ ..

- وماذا عن باقى الكنز ؟

- سيذهب مع الأمبولات ..

ووثب إلى الماء ..

وهنا تتابعت الأحداث سريعا ..

رأيا قارب (كلوش) قادما مسرعا فوق الأمواج ..

وسمع (ساندرز) أزيز رصاصة تمر جوار أذنه ..

هتفت (جيل) وهى تنبطح على قاع القارب :

- لقد قال لنا أن نذهب ..

- لا .. لن أذهب ..

الطلقات تنهمر دون أن تصيبهما لحسن الحظ ..

الثوانى تمر و (ساندرز) لا يتحرك ..

- (ساندرز) .. يجب أن نرحل ..

- ولكن ......

- هل تريد أن تموت ؟

نظر (ساندرز) إليها .. ثم شغل المحرك .. وبدأ القارب يتحرك فى اتجاه الشاطئ .. حتى أصبحا خارج مجال الطلقات ..

ووقف يرمق ما يدور هناك ..

كانت الأضواء تنبعث من قارب (كلوش) ، وأخذ الغطاسون يثبون إلى الماء واحدا تلو الآخر ..

قال (ساندرز) فى حدة :

- فتشى عن (تريس) .. إذا لم نخرجه من الماء قبل الانفجار فلسوف يموت ..

* * *

كان هناك سلك مفكوك .. وشرع (تريس) يحاول ربطه مستعملا ظفر إبهامه كمفك .. ضبط الساعة بعد خمس دقائق .. ثم وجده ضوء أحد الغطاسين ..

وفى اللحظة التالية كان خرطوم هوائه قد قطع ..

شرع يحاول التملص يمينا ويسارا لكن الغواصين حاصروه ..

شعر بنصل سكين ينغرس فى ظهره ..

كان الألم مروعا ..

ولم يدر كيف ولا متى أدار قرص جهاز التوقيت إلى الصفر ..

* * *

كان الانفجار مريعًا ..

لقد تكفلت بقايا القذائف فى (جوليات) بتحويل البحر إلى جحيم .. المياه تتناثر فى عنان السماء .. قطع صغيرة من قارب (كلوش) تتناثر فى كل صوب ..

صور مهزوزة لأشلاء رجال ..

ثم سقط (ساندرز) على ظهره .. يسمع صوت تهشم الحطام .. يرى النجوم فى السماء .. ويحسب أنه الموت ..

ثم يسمع صوت (جيل) يناديه :

- هل أنت بخير ؟
- نعم .. وأنت ؟
على الشاطئ نزلا ....
خرجا من الماء يتعثران .. يغوصان فى الرمال ..
وسارا حتى وصلا إلى صخرة (أورانج جروف) ..
ثمة حفرة كبيرة فى سلسلة الصخور .. وقطع من الحطام تطفو فوق الأمواج ..
وفوق الصخرة كان هناك حشد من الناس يرمقون الماء فى فضول ..

بيتر بنشلى

* * *

[تمت بحمد الله]

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

الأعماق

13

يقولون إن القبور تذخر بالأبطال الذين لم يمتلكوا من الحظ قدر ما امتلكوا من الشجاعة .. ولم يكن (ديفيد ساندرز) وزوجته بطلين .. كانا مجرد زوجين شابين أرادا قضاء شهر العسل فى (برمودا) .. لكنهما وجدا نفسيهما مقمحين فى هذه القصة الرهيبة كالبحر ذاته .. الغامضة كالبحر ذاته ..

الثمن فى مصر ١٢٥ ق
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
القتل دون مقدم أتعاب

